سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الرابعة | العدد (159) | 5 تشرين الأول 2014

تنظيم "الدولة" على مشارف كوباني

الاختلاط والاندماج ايجابية النزوح الوحيدة (السويداء مثالاً)

صناعة الحياة في درعا البلد

مغارة براعم العمري والـ 150طفلاً

مخيم اليرموك

مأساة فلسطيني بيد فلسطيني

لاجئو كوباني على الحدود التركية AP

تنظيم "الدولة الإسلامية" على مشارف كوباني
تركيا تتعهد بعدم سقوطها .. ودمشق تحذر من تدخل أنقرة

لاجئة من كوباني على الحدود التركية - الأناضول

سوريتنا - وكالات

تمكنت القوات الكردية المدافعة عن مدينة عين العرب السورية "كوباني" من وقف تقدم مسلحي تنظيم "الدولة الإسلامية" نحو المدينة، وذلك بعد أن شنّت طائرات التحالف الدولي غارات استهدفت مسلحي التنظيم، وأدت إلى مقتل العشرات منهم.

وأوضح مراسل لمحطة "الجزيرة" أن تنظيم الدولة نفذ أربع محاولات للسيطرة على قرية "حلنج" الإستراتيجية شرقي عين العرب، لكن ضربات التحالف حالت دون تحقيق هدفه. وكان التنظيم سيطر في الأيام القليلة الماضية على بعض مداخل المدينة، لكنه لم يتمكن من اقتحام أي من أحيائها.

وأفادت المصادر بأن الاشتباكات مستمرة بين قوات الحماية الكردية ومقاتلي تنظيم الدولة في الناحية الشرقية من المدينة.

وكان التنظيم بدأ في 16 من الشهر الماضي هجوما على عين العرب، وتمكن من السيطرة على عشرات القرى قبل أن يتعثر على أبواب المدينة التي فرّ جل سكانها المقدر عددهم بنحو مائتي ألف.

واعلن بيان للتنظيم سيطرة مقاتليه على كافة الحواجز التابعة لوحدات المحيطة بمدينة عين العرب "كوباني".

وبذلك يصبح مقاتلو تنظيم الدولة على بعد مئات الأمتار من المدينة من الجهتين الشرقية والغربية وعلى بعد 1 - 2 كيلو متر من الجهة الجنوبية.

وشهدت الجبهتين الشرقية معارك ضارية بين التنظيم وYPG يومي الخميس والجمعة الماضيين حيث سقطت أكثر من 80 قذيفة علة المدينة.

وبدأ التنظيم اواخر الشهر الماضي، بهجوم واسع باتجاه عين العرب، حيث سيطر في أيام قليلة على أكثر من 65 قرية في محيط تلك المدينة، الأمر الذي أجبر نحو 150 ألفا من سكان تلك المنطقة إلى النزوح إلى الأراضي التركية.

خارطة عسكرية

بعد خسارة الوحدات الشعبية YPG لحواجزها المحيطة بعين العرب "كوباني" أصبحت المدينة محاصرة بشكل كامل من الجهات الجنوبية والغربية والشرقية بينما يعزز الجيش التركي تواجده عند بوابة "مرشد بينار" في الجهة الشمالية.

ويتواجد التنظيم بشكل أساسي في المناطق المحيطة بالمدينة في كل من مزرعة داوود شرق المدينة بحولي 2 كم، وفي تل شعير ومزرعة صوفيان والتي تبعد عن المدينة 2 - 3 كم غرباً.

بينما يسيطر التنظيم في الجهة الجنوبية الشرقية على قرية حلج بحولي 2 كم وفي منتزه السيران والذي يبعد 3 كم جنوب المدينة.

تنتشر قوات YPG حالياً في داخل المدينة ولا يعرف العدد الحقيقي للقوات المتواجدة فيها لكن تحدثت مصادر إعلامية عن دخول 1500 مقاتل من أكراد تركيا إلى المدينة منذ بداية هجوم التنظيم عليها استعداداً لمعركة شوارع أطلق عليها مقاتلو YPG حرب القلعة.

بينما تراجح مصادر متعددة قوات تنظيم الدولة بأكثر من 1000 مقاتل بينهم مقاتلون أكراد من كردستان العراق.

وكان تنظيم الدولة قد أعلن الأربعاء الماضي أنه يستعد لاقتحام كوباني، وقال إن مقاتليه أصبحوا على مدخل المدينة بعد سيطرتهم على منطقة تشرف على المعبر الحدودي مع تركيا الذي أصبح تحت مرمى نيرانهم.

التحالف الدولي

قالت وزارة الدفاع الأميركية إن المقاتلات والطائرات من دون طيار وجهت ثلاث ضربات جوية على مواقع قرب كوباني، ما أدى إلى تدمير آليات عسكرية تابعة للتنظيم.

وتفيد بيانات القيادة العسكرية الأميركية بأن قوات التحالف الدولي شنت سبع ضربات جوية على مواقع التنظيم حول عين العرب منذ السبت الماضي، إلا أن جميعها لم تكن كافية لردع مقاتلي التنظيم أو الحيلولة دون تقدمه المدينة.

أنقرة تتعهد .. ودمشق تحذر

قال رئيس الوزراء التركي، أحمد داود أوغلو، أن بلاده ستفعل ما بوسعها لمنع سقوط بلدة عين عرب "كوباني" بيد تنظيم "الدولة الإسلامية".

وقال داود أوغلو، الجمعة، إن "تركيا لا تريد لبلدة كوباني السورية التي تقطنها غالبية كردية قرب حدودها مع سوريا أن تسقط في ايدي مقاتلي الدولة الاسلامية، وستفعل ما

في وسعها للحيلولة دون ذلك".

ونقل عن وزير الدفاع التركي عصمت يلمظ قوله للصحافيين إنه سيكون من الخطأ توقع القيام بعمل عسكري وشيك بعد التفويض البرلماني.

وفي تعليقه على تحذير زعيم حزب العمال الكردستاني عبد اللّه أوجلان بإنهاء محادثات السلام مع الحكومة التركية إذا ما سمح بارتكاب مذبحة ضد الأكراد في كوباني، رفض أوغلو الربط بين الأمرين.

من ناحيتها، حذرت وزارة الخارجية السورية من أي تدخل عسكري تركي، وطالبت المجتمع الدولي ومجلس الأمن "بوضع حد لمغامرات القيادة التركية التي تشكل تهديدا للأمن والسلم الإقليمي والدولي".

وقالت الوزارة في بيان نقلته وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) إن المجتمع الدولي ومجلس الأمن مطالبان بأن" يقفا وقفة جادة ويتخذا موقفا حازما ومسؤولا لوضع حد لنهج أنقرة المدمر".

وطالبت دمشق بإرغام أنقرة على الامتثال لقرارات مجلس الأمن "ووقف الدعم اللامحدود الذي تقدمه للتنظيمات الإرهابية المسلحة ومطالبتها بوقف تدخلها في الشؤون السورية".

وعملت السلطات التركية في الأيام الأخيرة على تعزيز استعداداتها العسكرية إلى حشد آليات عسكرية في مواقع مطلة على عين العرب، في وقت تتعرض مناطق حدودية تركية لسقوط قذائف مصدرها الجانب السوري من منطقة الاشتباكات في محيط المدينة.

وتأتي تصريحات داود اغلو بعد إعلان البرلمان التركي عن موافقته على قرار التدخل عسكرياً ضد تنظيم "الدولة الإسلامية".

تفاقم الأزمة الإنسانية

مع ازدياد وتيرة المعارك وسيطرة التنظيم على أكثر من 300 قرية في ريف عين العرب كوباني منذ بداية هجومة في تزداد معاناة اللاجئين

المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة أعلنت أنها تضع خططاً لوجستية لفرار كل سكان بلدة كوباني والقرى المحيطة بها والبالغ عددهم 400 ألف، إلى تركيا.

وذكرت المفوضية في بيان أن نحو 138 ألف لاجئ سوري دخلوا الأراضي التركية في لجوء جماعي بدأ الأسبوع الماضي، مشيرة إلى أن نقطتي عبور حدوديتين مع تركيا ما زالتا مفتوحتين.

وقالت المتحدثة باسم المفوضية، "ميليسا فليمينج"،: "نستعد لفرار كل السكان إلى تركيا"

ودعت "فليمينج" إلى تقديم العون للحكومة التركية ودول الجوار الأخرى التي تستضيف أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ سوري، مضيفةً: "138 ألف الذين وصلوا لتركيا مؤخراً هم نفس عدد من استقبلتهم أوروبا خلال ثلاث سنوات من الحرب السورية".

ومن جهته، قال روبرت كولفيل، المتحدث باسم حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، في الإفادة الصحافية: "قلقنا الأكبر هو أن تسقط كوباني".

وذكر أن قوات "داعش" سيطرت على ما لا يقل عن 105 قرى حول كوباني منذ 15 سبتمبر، منها 85 قرية على الأقل سقطت في مطلع الأسبوع.

وأضاف أن مكتب حقوق الإنسان وصلته تقارير عن 100 قرية أخرى هجرها سكانها، خوفاً من سقوطها في أيدي تنظيم الدولة".

وأوضح كولفيل أن منطقة كوباني تستضيف أيضاً ما بين 200 و400 ألف نازح سوري فروا من مناطق أخرى من البلاد منها الرقة وحلب وحمص.

أخبار عن إعدام 35 ناشطاً وإعلامياً في مدينة الرقة كانوا معتقلين لدى "داعش"

الاعلامي أحمد الأصمعي

أفاد ناشطون من مدينة الرقة أمس الاربعاء بمقتل ما يقارب 35 ناشطاً إعلامياً، ومدنياً، وعناصر من الجيش الحر في مدينة الرقة، حيث أعدمهم تنظيم داعش في أحد معتقلاته بالقرب من المدينة.

صفحة "الرقة تذبح بصمت" على شبكة "فيس بوك" نشرت صوراً للناشط الاعلامي أحمد الأصمعي أحد ابناء المدينة، كان التنظيم اعتقله مع مجموعة من نشطاء الرقة، عقب سيطرته على المدينة مطلع العام الجاري.

وقالت الصفحة أن التنظيم أعدم الأصمعي مع 34 آخرين دفعة واحدة بتاريخ 2014/9/18، كما ذكرت الصفحة أن المعلومات جاءت عبر إبلاغ أهل الناشط الاصمعي.. وبحسب العائلة فإن التنظيم أعلمهم بمقتل ابنهم أمس الأربعاء، وعند مطالبة العائلة بجثته، قال عناصر من التنظيم أنه تم دفنه في مقبرة جماعية على أطراف المدينة.

وقال مراسل «سراج برس» أن خبر المجزرة تناوله جميع الإعلاميين في الرقة، وأكدوا عملية الإعدام، وسط تضارب عن مكان مقبرتهم الجماعية، أو أسماء من تم إعدامه.

الناشط الإعلامي أبو ورد الرقاوي أحد القائمين على حملة «الرقة تذبح بصمت» قال لـ «أخبار الآن»: الناشطين الذين تم إعدامهم ليسوا من مدينة الرقة فقط، وإنما هناك ناشطين من جميع المناطق المحررة التي سيطر عليها التنظيم، ولكن أغلبهم من أبناء مدينة الرقة.

وعن أسماء الناشطين التي تم إعدامهم قال الرقاوي «لدينا بعض الاسماء، ولا يمكننا الافصاح عنها حالياً، حتى يتم إبلاغ ذوي الناشطين من قبل داعش، وذلك خوفاً على الأهالي من أن يتأذوا من قبل عناصر داعش، وسنعلن عن أسماء من تم إعدامه بعد أن نتأكد من تبليغ أهله».

وأضاف الرقاوي: بناءً للمعلومات الأولية لما قاله عناصر التنظيم لبعض أهالي النشطاء، أنه تم دفنهم في مقبرة جماعية في ريف المدينة، وهو المكان الذي يمكن أن يكون التنظيم أعدم فيه النشطاء.

من جهته الإعلامي جود الأمين قال: «من بين من تم إعدامهم ناشطين، ومدنيين، وعناصر من الجيش الحر كان قد اعتقلهم التنظيم منذ بداية العام.

وأضاف الامين: بحسب المعلومات الأولية فإن التنظيم أعدمهم في أحد معسكراته، أو معتقلاته السرية، الأمر الذي لا يمكننا التأكد منه حالياً بسبب السرية التامة التي يتبعها التنظيم في مثل هذه الأمور، حيث وجدت مؤخراً مقبرة جماعية بالقرب من مدينة الطبقة في ريف الرقة الغربي، وفيها أكبر معسكرات ومعتقلات التنظيم في منطقة الكرين غرب الطبقة.

ويذكر نشطاء من المدينة أن التنظيم يعتقل مئات من النشطاء الإعلاميين والمدنيين في معتقلاته الواقعة على أطراف المدينة، ومنها معسكر العكيرشي جنوب المدينة، الذي يتخذ منه التنظيم معسكراً لتدريب عناصره، وسجناً يعتقل فيه المئات من المدنيين.

الجدير بالذكر أن تنظيم «الدولة الإسلامية» منذ سيطرته على مدينة الرقة وريفها مع بداية هذا العام عمد على اعتقال المئات من المدنيين وعناصر الجيش الحر وسط غياب تام لمعلومات عن أماكن اعتقالهم وأحوالهم الصحية أو إذا ما كانوا على قيد الحياة.

لافارج سوريا بيد تنظيم "الدولة الإسلامية"

■ الرقة – ناصر المحمود

أدى اشتداد المعارك بين تنظيم الدولة الإسلامية من جهة ووحدات الحماية الشعبية YPG في ريف عين العرب - كوباني إلى إغلاق معمل إسمنت شركة لافارج أكبر معمل للاسمنت في سوريا. ما عرض أكثر من ألف عائلة سورية بشكل مباشر لشبح البطالة، وآلاف الأسر للضرر بشكل غير مباشر خاصة بعد سيطرة التنظيم بشكل كامل على المعمل.

ومعمل لافارج شركة مساهمة أسست في سورية 2007م وبدأت بالإنتاج عام 2011م حيث ينتج المعمل الواقع شمال شرق حلب بـ150كم يومياً ما يقارب 7500 طن إسمنت بأنواعه الثلاثة (راسخ، ماكن، ثابت)، ويشغل المعمل حوالي 400 موظف على قيود الشركة، و450 عامل عادي تابعين للأعمال اليومية والمتعهدين إضافة للسائقين وغيرهم من العمال.

ولشركة لافارج حصة الأسد في الشركة ثم رجال أعمال مصريين، وكان فراس طلاس شريكاً في المعمل قبل أن يبيع حصته، وتأخذ الحكومة السورية 1000 ل س عن إنتاج كل طن إسمنت حسب العقد المبرم، ومن المقرر أن تندمج شركة لافارج على مستوى العالم مع شركة هوسليم السويسرية.

وبعد سيطرة تنظيم الدولة في 20 من أيلول الماضي على المعمل قالت المتحدثة باسم شركة اللافارج في باريس أن "لافارج اتخذت قراراً بأخلاء المعمل وتعليق نشاطه طالما أنه لا يمكن ضمان الوضع الأمني في المنطقة".

يقول أبو قتادة وهو مقاتل في تنظيم الدولة الإسلامية: "حافظنا على المعمل بعد سيطرتنا عليه ووضعنا حراسة مشددة للحيلولة دون تعرضه للنهب والسرقة، وهو الآن منطقة عسكرية ريثما ننتهي من معاركنا مع وحدات الحماية YPG التي حاولت إحراق المعمل وتدميره قبل انسحابها منه".

وقد تعرض المعمل والعاملون فيه لتحديات كبيرة خلال الثورة خاصة الفترة الأخيرة، وأبرز هذه التحديات تتمثل بمخاطر الطريق فالمعمل يقع بين الرقة وعين العرب ومنبج مما جعل العمال يتعرضون لمخاطر كبيرة جداً، ناهيك عن المشاكل التي اعترضت عملية الإنتاج، فالشركة كانت تعاني صعوبة في تأمين الأكياس، والفحم اللازم لتشغيل الأفران، هذا عدا عن الأتاوات التي فرضت من جميع القوى المسلحة دون استثناء على الشركة بدعاوى كثيرة.

يقول أحمد 36 سنة عامل في لافارج: "كان الطريق يستغرق حوالي 45 دقيقة وفي الفترة الأخيرة أصبح يستغرق حوالي 3 ساعات فهناك حواجز للتنظيم وأخرى لقوات الحماية الكردية، وقد تعرض الكثير من الزملاء للاعتقال والخطف، وما يزال هناك عدد منهم في المعتقلات".

وأصبح لقوات الحماية الشعبية خلال فترة سيطرتها على المعمل الكلمة العليا فباتوا يتصرفون كأن المعمل ملك لحزب الاتحاد الديمقراطي PYD، حتى صار المعمل أبرز وسائل الدعم والتمويل للحزب، فباتوا يوقفون المعمل ويشغلونه وقت يشاؤون، وينقل عمال من داخل المعمل "أن (شيار) و(علي) المسؤولين في حزب الاتحاد الديمقراطي PYD كامل الصلاحيات في المعمل دون أن يكون لهم أي صفة وظيفية في المعمل، وبلغ حجم الضغوط لدرجة إجبار الشركة على توظيف حوالي 50 موظفاً في الفترة الأخيرة رغم أن نسبة الأكراد كانت جيدة في المعمل".

مقر معمل اسمنت لافارج في شمال شرق حلب

يقول ن م عامل: "لم يكن هناك تمييز بين عربي وكردي، لكن سيطرت قوات YPG فرضت نوعاً من الحساسية، وأصبحنا نشعر أننا من الدرجة الثانية، فالشركة عالمية وفيها موظفون من كل سورية لأن مسابقات التعيين تجري بشفافية وينجح أصحاب المقدرة والكفاءة، ولكن فرض على الشركة موظفون من الأخوة الكرد، مع ذلك فالزملاء الأكراد رغم سيطرة قوات YPG كانوا يعاملونا باحترام".

كما تركت معاملة الشركة انطباعاً سيئاً لدى العاملين لديها، فالشركة لم تراع ارتفاع الأسعار وتبدل سعر الصرف فرفعت أجور العمال بشكل طفيف لا يتناسب مع الأسعار الجديدة والمخاطر الشديدة، يحدثنا العامل "أبو محمد" عن بعض النقاط السلبية للشركة في الفترة الأخيرة قائلاً: "الشركة قدمت فدية بالملايين لتحرير بعض الموظفين بداية الثورة وكانوا من الطائفة العلوية أما الموظفون السنة فتركت أهلهم يفاوضون الخاطفين دون أن تقدم لهم دعماً، كما أنها لم تقم بأي جهد أو عمل لإطلاق سراح المعتقلين فهناك (ع ح) معتقل لدى قوات النظام، وهناك (ع س) معتقل لدى تنظيم الدولة، وما زالا حتى الآن في المعتقلات".

أما من ناحية المكتسبات المادية فيشرح " أبو محمد" بالقول:" حرمتنا الشركة من تعويضات بدل الوردية رغم إقراره منذ 5 شهور، إلا أنه لم يصرف حتى الآن، وفي الفترة الأخيرة صدر قرار بإيقاف المعمل مؤقتاً بسبب الظروف الأمنية لكن بقيت بعض الأقسام تعمل، لكن للأسف تم حرمان الجميع من الأجر، ولم تراع أو تقدر العمال الذين بقوا تحت الخطر".

ومما يلفت الانتباه انتساب العشرات من العاملين والموظفين في المعمل لتنظيم الدولة الإسلامية ويقدر لنا أحد العمال "عددهم بأربعين عاملاً، ومنهم من أصبح قيادياً في التنظيم كأمير منطقة عين عيسى في الرقة، إضافة لابن (عبيد القادر: وهو ممول كبير لحزب PYD في مدينة كوباني) والذي كان يعمل معنا في المعمل ثم انضم لتنظيم الدولة".

يقول م ع عامل: "كنا نفاجأ بداية الثورة بانتساب بعض العمال لفصائل عسكرية، وعندما جاء تنظيم الدولة تفاجأنا بغياب الكثيرين لنكتشف لاحقاً أنهم التحقوا بمعسكرات التنظيم ومبايعته".

ومسألة إعادة تشغيل المعمل تحكمها كثير من الاعتبارات الفنية والتقنية، فالمعمل مربوط عبر الانترنت بنظام تحكم وتشغيل مرتبط بمقر الشركة بفرنسا أو فروعها بمصر أو دمشق، ولا يمكن لآلاته الإقلاع دون أخذ الأرقام السرية من الشركة، فأقسام المعمل مرتبطة مع بعضها عبر شاشات رقمية حديثة، مما يفرض على الشركة وتنظيم الدولة إيجاد صيغة معينة للتفاهم.

يقول المهندس ج هـ: "تشغيل المعمل أمر معقد فنياً ويحتاج لتشغيل النظام من قبل الشركة، ويمكن تشغيله دون الرجوع للشركة وذلك بفصله عن الشركة الأم وتشغيله آلياً، لكن ذلك يحتاج لخبراء بأنظمة التشغيل والتحكم، وهذه العناصر الخبيرة غير متوفرة حالياً، ولا نعلم إن كان تنظيم الدولة قادراً على تأمين هذه الخبرات، وتبقى العقبة الأمنية هي الكبرى، ولا سيما أن قوات التحالف بدأت باستهداف المعمل أولاً، والاشتباكات ما تزال مستمرة ثانياً".

معمل اللافارج منشأة اقتصادية ضخمة انتقل من وصاية النظام إلى الحماية الكردية وهو اليوم بيد تنظيم الدولة الإسلامية، وتوقفه عن العمل سيلقي بظلاله على المنطقة بشكل عام وغلاء متوقع للأسمنت والبناء في المناطق التي يصلها انتاج لافارج، أضافة إلى كونه قد يكون مصدر تمويل للتنظيم في حال أستطاع فك رموز الشفرات أو تشغيله آلياً.

جمهور الموالاة يخرج عن صمته

■ مهند النادر

تناقلت بعض وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي يوم الخميس 2 تشرين الأول صوراً ومقاطع فيديو لتظاهرة غاضبة في مدينة حمص وتحديداً في حي عكرمة ذو الغالبية العلوية، والذي يخضع لسيطرة قوات النظام، طالبت بإسقاط المحافظ، كما في أيام الثورة الأولى عام 2011. فقد شهد الحي مظاهرة شعبية انطلقت من أمام مدرسة عكرمة المخزومي التي وقع أمامها انفجارين، أثناء خروج التلاميذ منها ما أدى إلى سقوط عشرات الضحايا بينهم على الأقل 15 تلميذاً لم يتجاوزوا الثانية عشر من العمر. الانفجار الأول وقع أمام باب المدرسة بواسطة سيارة مفخخة ما أدى إلى سقوط عشرات التلاميذ بين جريح وقتيل واختلطت أشلاؤهم المتناثرة مع حقائبهم وكتبهم المدرسية، فيما نفذ الانفجار الثاني انتحاري عندما تجمع الناس لإنقاذ الأطفال الضحايا مما زاد عدد الإصابات نتيجة التفجيرين الإرهابيين.

فجر غضب المتظاهرين، وهم من المؤيدين للنظام، تقصير قوات الأمن التي لم تستطع حماية أحيائهم ولم تكن قادرة على منع حدوث التفجير المزدوج الذي وقع أمام المدرسة الابتدائية في الحي. هتف المئات من المتظاهرين "الشعب يريد إسقاط المحافظ"، كما هو واضح في مقاطع الفيديو التي تناقلتها مواقع التواصل الاجتماعي، واستخدم المتظاهرون ذات اللحن في اطلاق الشعار كما في بدايات الثورة عندما بدأت الاحتجاجات في مدينة حمص، بطلب إقالة المحافظ إياد غزال الذي كان رمز الفساد فيها، وصاحب مشاريع تغيير معالم حمص التي لم تنل قبول الجميع حينها. المطلب الذي تطور ليشمل استقالة الرئيس بعد أن استخدمت قوات الأمن القوة والعنف ضد المتظاهرين.

عبد الله، أحد المشاركين في تشييع ضحايا الانفجارين، يعزو سبب غضب الناس على المحافظ واللجنة الأمنية في المدينة إلى "أن التفجير الإرهابي تم بواسطة سيارة عسكرية وبهوية ومهمة عسكرية مزورة، ما أدى إلى رفع صوت النقد باتجاه المحافظ وضباط الجيش المسؤولين عن حماية حمص، واتهامهم بقبول الرشاوى بكل سهولة". ويستنكر عبدالله وقوع هكذا تفجيرات في ظل وجود الحواجز الأمنية الكثيفة والمكلفة بحماية الناس في المدينة، من أي خرق أمني فيقول: " إما أنه هناك تقصير من الجهات الأمنية أو خرق وتواطؤ سمح بحدوث التفجير".

انطلقت التظاهرة من موقع التفجير أمام المدرسة وجابت شوارع الحي واستقرت في ساحة "دوار الرئيس"، وتم قطع طريق الشام لأكثر من ساعة، كما تم قطع شارع الحضارة في حي عكرمة، كما يقول عباس العلي، ويضيف: "هتفنا لإسقاط المحافظ لأنه المسؤول الأول عن حمايتنا، وطالبنا بحل اللجنة الأمنية، وفتح تحقيق حول كل التفجيرات التي حصلت بالفترة الماضية وخاصة ما حدث أمام مدرسة عكرمة".

عدنان حسن، ناشط إعلامي ومؤيد للنظام، يعتقد "أن المسؤولين الأمنيين هم من يتحمل المسؤولية وهم المستفيدون من هكذا تفجيرات، لأن الاستقرار والهدوء يضر بمصالحهم التي تقوم على الابتزاز والخطف وفرض الأتاوات". ويذكر بعض الناشطين على صفحات التواصل الاجتماعي المؤيدة للنظام "أن وزير الصحة في حكومة النظام زار جرحى التفجيرين وغادر المشفى رافضاً الاستماع لتساؤلات الأهالي".

محافظ حمص "طلال البرازي" وصف التفجيرات في تصريح لوكالة سانا الحكومية بانها "عمل إرهابي ومحاولة يائسة من الإرهابيين للتعويض عن خسائرهم فاستهدفوا الأطفال". وحتى اليوم لم تعلن أي جهة عن مسؤوليتها عن هذا الهجوم، علماً أن المجموعات المسلحة المعارضة نفذت العديد من التفجيرات في مدينة حمص ضمن الأحياء الموالية للنظام. وخلال فترة الصراع الدامي في سورية ارتكبت جميع الأطراف هجمات طالت المدنيين، نادراً ما كان الأطفال هدفاً مباشراً، ففي شهر أيار الماضي، قصفت قوات النظام مجمعاً شمال مدينة حلب يضم مدرسة سقط بسببه 19 شخصاً بينهم 10 أطفال.

في منطقة الوعر التي تعتبر معقل للمعارضة في مدينة حمص، رفع أطفالها يافطات تعبر عن رفضهم لقتل الأطفال في أي مكان من سوريا، ونشرت مواقع التواصل الاجتماعي صوراً لأطفال يرفعون يافطات تقول: "نرفض قتل الأطفال" وأخرى تقول: "من قتل الأطفال في حي عكرمة هو ذاته من يقتل أطفال الوعر". في إشارة إلى سلوكيات النظام وحلفائه وخاصة مليشيات الدفاع الوطني التي أبدت انزعاجها من الاتفاقات التي تمت بين الحكومة والمعارضة وخرج بموجبها المقاتلون من حمص القديمة، مما أدى "إلى تقلص صلاحياتهم وتضرر مصالحهم" كما عبر موفق شلبي الناشط المعارض في حي الوعر.

تأتي ردة فعل المواطنين الموالين وغضبهم من تفاقم الخوف والإحباط المتزايد لديهم بسبب الخسائر المتتالية التي أصابت الجيش في العديد من المواقع والسيطرة عليها من قبل مسلحي الدولة الإسلامية "داعش" الذين قتلوا الكثير من الجنود الذين تُركوا لمصيرهم المجهول بعد أن تخلت عنهم قياداتهم، وفق تحليل "عماد عبود" الناشط الإعلامي والمؤيد لنظام الأسد. شبكة أخبار حمص الموالية للنظام، وبعد ساعات من حدوث التفجيرات "وجهت دعوة للسكان بعدم إرسال أطفالهم إلى المدارس وإبقائهم في البيت حتى إقالة المحافظ طلال البرازي". وتعبيراً عن الاستياء من الأداء الأمني لقوات النظام، نجد أن الصفحة التي أحدثت بعد الحادثة تحت اسم " شهداء مدرسة عكرمة"، تقول: "كن مستعداً لتتحول إلى أشلاء عندما تمر بجوار المدرسة بسبب السيارات المفخخة، لأن الحواجز والتفتيش يكون حول بيوت المسؤولين فقط".

إعلام النظام تعامل كما العادة مع الحدث على أنه فرصة لاستكمال حملته الترويجية ضد ما يسميه الإرهاب، فأهمل البعد الإنساني ومعاناة ومآسي أهالي الضحايا، مما جعله عرضة لسخط وغضب المواطنين، أحد المتظاهرين يقول بعضب لمراسل التلفزيون الرسمي "ياريت شي محطة من المحطات الرسمية أعلنت الحداد"، وأضاف متظاهر آخر: "لو دولتنا بتحترم الشعب الذي صمد أربع سنوات، وزير التربية بيستقيل، والمحافظ بينشال، بس نحن دولة ما بتحترم حالها، أطفالنا صاروا أرقام".

تعتبر مظاهرة حي عكرمة المرة الأولى التي يخرج فيها أهالي الضحايا من الموالين عن صمتهم اتجاه ما تعرض له أبنائهم بسبب سوء تصرف الجهات المسؤولة، وانتهاء التظاهرة لن ينهي حالة الاستياء والاحتقان ما دامت الأمور على حالها، فهل كسر هؤلاء جدار الصمت أخيراً؟.

من مظاهرة حي عكرمة الأسبوع الماضي

الاختلاط والاندماج ايجابية النزوح الوحيدة (السويداء مثالاً)

■ السويداء - زليخة سالم

ضيوف السويداء «كما يحب أن يطلق عليهم سكانها» ممن نزحوا من باقي المحافظات أحدثوا حركة وتغير ملحوظ غير خاف على أحد من السكان، حيث شهدت المحافظة نقلة نوعية من محافظة هادئة قليلة السكان، إلى محافظة تعج بالحركة في شوارعها وأسواقها التجارية، ومشاريعها العمرانية، وازدهار في الاستثمار الصناعي والتجاري من قبل السكان والضيوف ممن نزحوا بأموالهم.

رغم كل الآثار السلبية والمدمرة للنزوح إلا أنه في الحالة السورية له إيجابية واحدة وهي الإبقاء على التعايش بين جزء من مكونات الشعب كنواة يبنى عليها في استعادة اللحمة بعد أن حاول النظام بشتى الطرق المباشرة وغير المباشرة نسفها من جذورها، لزرع الفتنة والفرقة، وإدخال البلد في حرب أهلية مدمرة تدوم سنوات طويلة كوسيلة للإبقاء على قبضته على سوريتنا.

ويتوزع ضيوف السويداء «الذين تقدر أعدادهم ما بين 500 إلى 800 ألف نسمة في غياب إحصاء دقيق رسمي أو شعبي، نظراً لتعدد الفعاليات والهيئات الإغاثية»، على جميع مدن ومناطق وقرى المحافظة، حيث من الممكن رصدهم في كافة القرى التي يزيد عددها عن 155 قرية في محافظة السويداء، وتتفاوت أعدادهم بين العشر والعشرون عائلة في كل قرية، وأحياناً يزيد عن الألف عائلة كما في قرية عريقة وعن الألفين كما في ناحية شهبا، ومنهم الكثيرين من نزح بالثياب التي كان يرتديها، ويحتاج إلى كل أنواع المساعدة، وبعضهم استطاع أن يستأجر منزلاً ويؤمن متطلبات معيشته ريثما يجد عملاً ودخلاً ثابتاً منه، وقلة اختاروا السويداء كمكان آمن لأعمالهم واستثماراتهم من أصحاب رؤوس الأعمال.

لن تكون السويداء «كأي منطقة في سورية» بعد الثورة كما كانت قبلها، ورغم كل النعوت التي وجهت لها بموالاة النظام، وتجاهل الحراك «المحدود» الذي بدأ بالمحافظة منذ بداية الثورة والتعتيم عليه إعلامياً، ورغم كل السموم والفتنة التي بثها النظام في المحافظة لتجييش الأهالي على النازحين والتضييق عليهم والتي نجح فيها جزئياً في البداية من خلال قلة من أزلامه ومواليه وعناصره الأمنية الذين وظفهم لهذا الغرض، إلا أن محاولاته باءت بالفشل بعد فترة بسيطة بعدما باتت لعبته مكشوفة لمواليه قبل المعارضة، وتدريجياً اندمج النازحون الذين قدموا من جميع المحافظات مع الأهالي، ومع طبيعة المدينة وسكانها وأصبحوا جزءاً منها، حتى مظاهر التعصب في اللباس والعادات التي كانت واضحة في مجتمع منفتح، بدأت تتلاشى تدريجياً، وتتآلف مع واقع المحافظة.

وحول هذا الموضوع قال المعارض وحيد وافي لسوريتنا: منذ بداية الأحداث في سورية كان هم العديد من وسائل الإعلام تصوير الحراك ضد الظلم والفساد والمطالبة بأبسط الحقوق بالحرية والكرامة على أنها حرب أهلية يقودها متطرفون، فأخطر ما في الأحداث التي جرت هي المحاولات الخطيرة والمشبوهة لتدمير النسيج السوري والتاريخ الطويل من التعايش

إلا أن أغلب السوريين أدركوا المؤامرة وكانت تجليات ذلك بعد أن اضطر الكثيرين إلى النزوح خوفاً من القتل والتجويع وللحفاظ على أطفالهم وأسرهم، وتم اختيار مناطق تسكنها الأقليات ومنها السويداء، وهي خير رد على كل محاولات التهويش والتجييش التي افتعلها النظام.

استقبلت السويداء آلاف المهجرين قسراً من بيوتهم، وما أن بدأت قوافل النزوح تدخل إلى المدينة حتى تداعى شرفائها باتجاهاتهم المختلفة لاستقبال النازحين كضيوف لمواجهة بعض الموتورين الذين حاولوا الإساءة لأخوتنا وأهلنا من النازحين، وتشكلت مراكز للمساعدة والإيواء بمبادرات شعبية وشبابية هامة، قدمت لهم كافة أشكال المساعدة، والدعم الإغاثي، وتأمين السكن من خلال تبرعات سخية قدمها أبناء السويداء رغم صعوبة الوضع المادي، وكثيرة هي البيوت التي فتحت أبوابها واستقبلتهم كضيوف أعزاء، كل هذا بشبه غياب شبه تام لمؤسسات الدولة عن تقديم المساعدة، ورفض فتح المدارس لاستيعابهم.

ومن جانب آخر تداعى عشرات الأطباء والممرضين والصيادلة لفتح عياداتهم، وإقامة مراكز صحية لمعالجة المرضى من ضيوف المحافظة، وتقديم العلاج المجاني لهم.

ونرى الآن في السويداء ومدنها وقراها الأهالي الذين نزحوا من مختلف المحافظات الجنوبية والشمالية والوسطى، كأهل البيت يتنقلون بحرية ودون أية مضايقات، بل إن الكثيرين يتعاملون معهم كضيوف أعزاء، وهذا سيكون له بالمستقبل نتائج ايجابية بإعادة اللحمة إلى المجتمع السوري، وإسقاط محاولات الفرقة والتعصب.

وعمل البعض من النازحين على تأسيس أعمال لهم بمختلف المجالات المهنية / نجارة وحدادة / والتجارية / محلات تجارية، ومعامل صناعية / إضافة إلى استئجار أراضي وإقامة مشاريع زراعية عليها مستفيدين من كل المواسم في الزراعة، ناقلين خبرتهم في هذا المجال إلى مزارعي السويداء بالتعاون مع أصحاب الأراضي.

الناشطة أم جلال قالت: أن مجموعة كبيرة من نساء السويداء «بالتوازي مع عدد أكبر من الناشطين الشباب» شكلن مجموعة عمل منذ بداية نزوح أهلنا من باقي المحافظات، وكن يعملن كخلايا النحل ليلاً ونهاراً لتأمين البيوت والفرش والمتطلبات الأساسية للقادمين من غذاء وكساء، كان مشهداً يدعو للفخر حيث استجاب لنا كل الأهالي بما فيهم الموالين للنظام، وكانوا يسألوننا بشكل مستمر عما نحتاجه من مواد إغاثية وإنسانية لمساعدتنا في تأمينه، رغم كل التضييقات والملاحقات الأمنية لكل من يحاول العمل في المجال الإغاثي، الذي دفع عدد من شباب المحافظة حياتهم ثمناً للقيام به، اعتقلوا واستشهدوا تحت التعذيب فقط لأنهم يقدمون الإغاثة لأهلهم النازحين.

تتابع أم جلال «في البداية كان قسم من النازحين يتحفظون في التعامل معنا، ومنهم من كان منطوياً ولا يريد الاختلاط بأحد، وعدد قليل جداً من العائلات لم ينسجموا مع واقع المحافظة، وغادروها، كل هذا تغير الآن بعد أن استقرت أوضاعهم، وتعرفوا على الأهالي الذين تعاملوا معهم كضيوف مرحب بهم، أو كأهل البيت، وبعد أن أمن الكثير منهم عملاً يكفيه الحاجة إلى المساعدات، ومنذ فترة اتخذ نشاطنا شكلاً آخر فبالإضافة

إلى الاستمرار في تقديم الحصص الإغاثية والمساعدات عملنا حلقات تعليم للأطفال يشرف عليها معلمات متطوعات ويحاولن الوصول إلى جميع أطفال ضيوفنا في المحافظة».

وتقوم بعض السيدات بتعليم الصبايا على الأشغال اليدوية «الحياكة وشغل الصنارة» وبدأن بإنتاج تقوم الناشطات بتسويقه لتأمين دخل ثابت ودائم لهن، حتى أن بعض العائلات الذين باتوا يؤمنون دخلاً يكفيهم، طلبوا تقديم المساعدة المخصصة لهم إلى العائلات الأكثر حاجة ممن لا يعملون أو لا يستطيعون العمل، وتؤكد أم جلال أن علاقتنا الآن «حميمية» مع الجميع ويعاتبوننا إذا تأخرنا عليهم.

استثمار الأراضي الزراعية كانت تجربة رائعة وناجحة قام بها بعض الأهالي الوافدين إلى السويداء وخاصة من محافظة إدلب، وفي هذا قال أبو محمد أنه أجر أرضه لعائلة من إدلب تقوم باستغلالها في كل المواسم، وأنه تعلم منها هذا النوع من الاستثمار في زراعة باقي أراضيه التي كان يقتصر باستغلالها في زراعة فصلية واحدة، وكان المردود مضاعف عليه وعلى مستأجري الأرض.

أم خالد من حمص قالت لسوريتنا: «كنا نتخوف من القدوم إلى السويداء بسبب ما كان يشاع أنهم منغلقون على أنفسهم، ويرفضون الآخر، ورغم بعض المضايقات المفتعلة التي واجهتنا في الأيام الأولى، هذا الخوف تبخر بعد فترة قصيرة من قدومنا، واحتضان الأهالي لنا، وهذا ما يخفف من حجم مأساتنا بفقد بيوتنا وأملاكنا».

سعدو من حلب قال: كنت أزور السويداء بشكل مستمر بسبب عملي في التجارة، وبعد أن فقدت كل أملاكي ومعملي، فكرت بالقدوم فوراً إلى هنا، لم أستغرب ما قدم لي أصدقائي وعملائي من مساعدة للبدء من جديد، لأنني أعرفهم جيداً منذ زمن، وأنا أعمل الآن على تأسيس عمل دائم لي هنا، وبناء منزل أمضي فيه بقية حياتي بين أهلي.

أسواق السويداء التي كانت سابقاً تزدحم نهاراً وشبه خالية مساءً، وتعمل ضمن طقوس محددة حيث تغلق ثلاث ساعات ظهراً، وبعد ظهر يوم الخميس، أصبحت الآن في حال آخر بعد أن انتقلت إليهم عدوى ثقافة العمل من أصحاب المحلات التجارية والمعامل التي أفتتحها عدد من الوافدين من أصحاب رؤوس الأموال، والمدينة التي كان يسيطر عليها السكون مساء أصبحت تضج بالحياة طيلة اليوم، وتحولت إلى ورشة أعمار لتلبية الطلب المتزايد على الشقق السكنية والمحلات، وخاصة في ظل الفوضى وتكاثر المخالفات.

كثيرة هي الأحاديث والروايات عن واقع النازحين إلى السويداء، لكن يجمع بعضهم أن المشكلة الكبرى لديهم هي رفض النظام لإيوائهم في المدينة، بتكريس مبدأ التفرقة على الحواجز المنتشرة على طريق السويداء – دمشق، حيث يتعمد إنزال كل الركاب من غير أهل السويداء لتفييش هوياتهم في حركات مستفزة ومكشوفة، ولإثارة السؤال داخلهم بشكل مستمر «لماذا نحن فقط»؟.

اتفاق إعادة المهاجرين من أوروبا إلى تركيا يدخل حيز التنفيذ

مئات ألاف اللاجئين السوريين حددوا وجهتهم إلى أوروبا لحماية أطفالهم وعائلتهم من مستقبل بات مجهولا، ودفعوا ويدفعون كل ما يملكون من أجل الوصول إلى ملجأ آمن، وسرعان ما هدد أحلامهم ومساعيهم ظهور اتفاقية مشتركة بين الاتحاد الأوروبي وتركيا تسمح لدول الاتحاد بإعادة اللاجئين غير الشرعيين الذين دخلوا إليها عبر تركيا، مقابل إعفاء الأتراك من الحصول إلى تأشيرة لزيارة دول الاتحاد الأوروبي.

الاتفاقية التي أثارت مخاوف اللاجئين السوريين الذين دفعوا أثمانا باهظة من أرواحهم وأموالهم للوصول إلى أوروبا، والذين اتخذوا أو سيتخذون من تركيا نقطة عبور غير شرعي إلى أوروبا، فإنها ستؤدي إذا ما نفذت بشكل مباشر إلى إعادة العديد من اللاجئين السوريين الذين حصلوا أو يحاولون الحصول على إقامة قانونية على الأراضي التركية، ومن ثم اتخاذها معبراً للهجرة غير الشرعية إلى أوروبا.

ما زاد من مخاوف السوريين المقيمين في تركيا والراغبين»مستقبلاً» باللجوء إلى أوروبا، هو قيام تركيا مؤخراً بتغيير نوع الإقامة الممنوحة للسوريين فيها من إقامة بإذن وزاري خاص مع منع العمل على أراضيها، إلى إقامة لجوء إنساني مرفقة بتصريح عمل، من خلال البصم على جهاز مرتبط ببنك المعلومات الأوروبي، والذي يسمح بإعادة كل من يهاجر من تركية بطريقة غير شرعية إلى الأراضي التركية حسب الاتفاقية.

السوريون باتوا مادة للمقايضة والمفاوضة من كل الأطراف، وينكرون عليهم حقوقهم في اللجوء إلى أي مكان هربا من القتل والموت، والذي تنص عليه كل الشرائع والمواثيق الدولية، ويقف المجتمع الدولي عاجزاً عن تقديم العون لهم في مأساتهم التي يقرون بأنها الأضخم والأخطر منذ قرون.

من وصل إلى الدول الأوروبية نجا بصعوبة من الموت والغرق في البحر المتوسط الذي ابتلع أكثر من 2500 شخص منذ بداية العام الجاري حسب توثيق مفوضية اللاجئين ومنظمة العفو الدولية، مقارنة ب 700 شخص في العام الماضي بأكمله، إضافة إلى ما يواجهه اللاجئ من تعذيب ومعاملة غير إنسانية في بعض الدول الأوروبية وخاصة اليونان وبلغاريا التي تنتقدها منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة. أما الآن فينص الاتفاق على إعادة المهاجرين الذين دخلوا بلدان الاتحاد الأوروبي الـ 28 دولة عبر تركيا والذين يقولون إنهم لاجئون.

ويبلغ عدد السوريين الذين يبحثون عن ملاذ آمن داخل تركيا حوالي نحو 1.5 مليون، مما يجعلها تستضيف أحد أكبر عدد للاجئين في العالم. وارتفع الرقم بشكل كبير في الأسابيع الأخيرة في أعقاب الهجمات الجديدة من قبل ميليشيا تنظيم «الدولة الإسلامية» على القرى الكردية بالقرب من الحدود بين سوريا وتركيا.

يذكر أن تركيا والاتحاد الأوروبي كانا قد وقعا على هذا الاتفاق في كانون الأول/ ديسمبر الماضي وصادق عليه البرلمان التركي في حزيران/ يونيو الماضي.

تزايد التمييز والعداء ضد اللاجئين السوريين في لبنان

حذرت منظمة هيومن رايتس ووتش يوم الجمعة الماضي من اتساع مناخ التمييز والعداء ضد اللاجئين السوريين الذي أوجده حظر التجول الذي تفرضه أكثر من 45 مجلس بلدية في لبنان عليهم.

وقال نديم حوري نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال افريقيا في هيومن رايتس ووتش إن حظر التجول ينتهك القانون الدولي لحقوق الإنسان وينتهك فيما يبدو القانون اللبناني أيضا، و"يجب أن تكف المجالس البلدية عن فرض هذا الحظر وأن توقف الممارسات التي تغذي مناخا من التمييز والصور النمطية ضد السوريين في لبنان.

وأوضحت المنظمة إن غالبية المجالس البلدية اتخذت هذا الإجراء ردا على اقتحام إسلاميين متشددين بلدة عرسال اللبنانية، وأن مواطنين لبنانيين شكلوا جماعات ملحة في الكثير من البلدات لمساعدة الشرطة في فرض حظر التجول.

وأكدت هيومن رايتس ووتش وقوع عدة حوادث ضد اللاجئين شملت الإساءة والتمييز، والتعرض للهجمات ضرباً وطعناً بالسكاكين في الشارع خلال مواعيد الحظر، ومنع عدد منهم من شراء الأدوية والأطعمة.

يذكر أن الجيش اللبناني نفذ هجوماً على مخيمات في عرسال الأسبوع الماضي، وأحرق بعضها بالكامل، واعتقل المئات من المدنيين، وتعرض لهم بالتعذيب والإهانة.

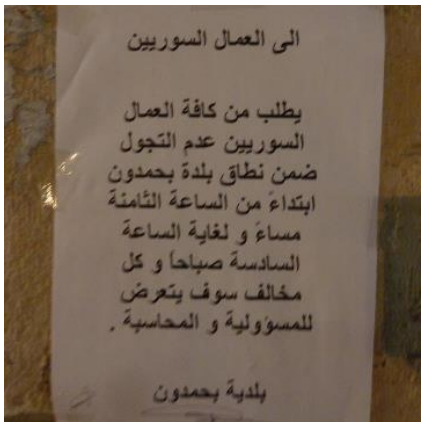

صناعة الحياة في درعا البلد
مغارة براعم العمري والـ 150 طفلاً

■ درعا - سارة الحوراني

وأنت تمشي في حي العباسية وعلى بعد مئات الأمتار من الجامع العمري، ما عليك إلا أن تبحث بعينك عن أسراب الأطفال، وهي تنسل من بين المنازل المدمرة نتيجة القصف بالبراميل المتفجرة والقذائف والصواريخ التي تأتي من قوات النظام السوري على درعا البلد.

ما أن تلمح أحد تلك الأسراب الصغيرة، عليك فقط أن تتبع خطاهم الصغيرة لتنحدر عبر درجات محطمة حفظتها الأقدام الصغيرة غيباً، وقد تتعثر خطاك وتقع لكنك سرعان ما ستجد طريقك عند سماعك لهمسات وضحكات قادمة من باطن الأرض.

بمجرد أن تدخل من الباب الذي يشبه إلى حداً ما باب منزل للأقزام، يتوجب أن تنحني قليلاً لتستطيع الدخول، لتستقبلك المفاجأة وكأنك دخلت إلى مغارة علي بابا التي طالما سمعت عنها، وما تحتويه من كنوز، لكن الكنز هنا عشرات الأطفال من مختلف الأعمار ما بين الخامسة والثالثة عشر ومن كلا الجنسين، يتحركون كخلية نحل لا تتوقف عن العمل.

تحاول استيعاب المشهد الغريب وأنت تلاحظ عدد من المشرفين داخل هذه المغارة، حوالي سبعة متطوعين يقول أحدهم «قضينا وقتاً طويلاً بتجهيزه وتحضيره وإعداده لاستقبال أطفال في سن التعليم الابتدائي».

المكان الذي أنهكته الرطوبة وأكوام النفايات التي جعلت منه مكب للقمامة والأوساخ والحشرات والحيوانات حوله هؤلاء المتطوعون إلى «معهد براعم العمري» لتدريس الأطفال الذين منعت البعض منهم ظروف الحرب والبراميل المتفجرة من الالتحاق بمدارس فوق الأرض.

يرافقنا (أحمد) بجولة في المكان، وهو شاب ترك دراسته مجبراً إثر ملاحقة قوات النظام له، في أربع غرف مقسمة بجدران محطمة وستائر قماشية مهترئة، لكنها كفيلة بمنح الخصوصية لكل غرفة، فإحداها خصص للتعليم الأساسي وخصصت غرفة أخرى لترفيه الأطفال بنشاطات متنوعة من رسم وغناء وشعر ومسرح.

أحد الأهالي في الحي تبرّع بسجادة كبيرة

وضعت في إحدى الغرف ليجلس عليها الأطفال وكأنهم في منازلهم، بينما وضع في غرفة أخرى بعض المقاعد، ونصب على جدارها لوح زين بالأحرف والأرقام، والتي تقوم الأجساد الصغيرة بكتابتها ببطء شديد كونها من المقتحمين الجدد للدراسة هذا العام فيما خصصت الغرفتان الأخرين للصفوف العليا من مرحلة التعليم الأساسي.

تزين جدران المعهد رسومات للأطفال وأشغالاً يدوية تجسد الحياة التي يعيشونها، ولا تخلو هذه الرسومات من رموز الحرب وشيء من ذكريات مدارسهم القديمة.

لا يفارقك الشعور بضيق النفس داخل المغارة، لكن الأطفال ومشرفيهم اعتادوا تدريجياً على أجواء الرطوبة والظلام، حيث عالجوا مشكلة تسرب المياه والصرف الصحي بوسائل بدائية، وتم تأمين إنارة بسيطة بواسطة بطارية دراجة نارية صغيرة ويخرج منها بعض الأسلاك، التي تفرعت إلى الغرف لتنتهي في مسطرة قصيرة وزع عليها بعض الأضواء الصغيرة، وهي كفيلة بمنح الغرفة الضوء المعقول في انقطاع شبه تام للتيار الكهربائي في المدينة.

«أماني» إحدى المشرفات، أستاذة جامعية ، باتت معيلة لطفلتيها بعد أن تركت زوجها الذي يعمل مع قوات الأمن السورية في درعا المحطة، تقضي أغلب وقتها في إعطاء دروس اللغة الفرنسية التي كانت تدرّسها في الجامعة وأجبرت على تركها منذ بدء الحرب.

«أماني» ليست الأنثى الوحيدة بين المتطوعين بل يفوق عددهن المتطوعين الذكور، معظمهن عملن في تربية الأطفال في مؤسسات مدنية قبل أن تضطرهم الحرب لتركها، إحداهن استشهد زوجها وأخرى معتقل منذ عامين، أما السيدة الأكبر سناً فقد اعتقل زوجها من على أحد حواجز النظام وما يزال مجهول المكان والمصير حتى اللحظة.

يقول «أحمد» أن المعهد يستقبل ما يقارب 150 طفل وطفلة، ويلاقى ترحيباً وتشجيعاً من قبل أهالي الأحياء المجاورة، الذين وجدوا لأطفالهم ملاذاً آمناً للتعليم، ويضيف «بعض الأطفال مصابون يحتاجون إلى رعاية صحية وطبية خاصة من قبل المتطوعين والاهتمام بسلامته وإيجاد مكان مناسب له الأمر الذي يزيد من الضغوط على كاهل المتطوعين».

يستمر دوام المعهد بشكل يومي باستثناء يوم الجمعة، ومع افتتاح المدارس يبدأ الدوام عصراً ولمدة ساعتين قابلة لتمديد حسب الوضع والاحتياجات التعليمية وعدد الطلاب.

يعاني المعهد من نقص كبير في الإحتياجات والمستلزمات لتجعله مكاناً مناسباً للعملية التعليمية، وخاصة في الظروف الصحية التي يحاول المتطوعون معالجتها حسب إمكانياتهم وخبراتهم، خصوصاً مع اشتداد المعارك في محيط المدينة.

المعابر النهرية في دير الزور مستمرة في العمل رغم المعوقات

■ دير الزور - عادل العايد

لم يكن بعلم، الشابة ريم أحمد البكري، ووالدتها رشا عبد الوهاب الحميد، من بلدة التبني، غرب دير الزور، عند محاولتهما العبور إلى مدينة دير الزور، من معبر الجنينة، صباح السابع والعشرين من شهر أيلول الجاري، أنهما سوف يعبران إلى العالم الآخر، ففي أثناء عبورهما كانت طائرة للنظام تقترب من المعبر، لتفتح نيران رشاشاتها على المدنيين فيه، فتستشهد الفتاة العشرينية وأمها، ويصاب عابرون آخرون، بجراح بالغة.

المعابر النهرية، هي مجموعة من القوارب الصغيرة، التي تستخدم المجاديف اليدوية، بالإضافة إلى الزوارق الآلية السريعة، وقد أدخل إليها حديثاً طوافات ضخمة تستطيع نقل السيارات، التي تستخدم للتنقل بين ضفتي نهر الفرات في دير الزور، وقد أصبحت هذه المعابر الوسيلة الأكثر رواجاً لنقل الأشخاص والمواد الغذائية، بعد انهيار جسر السياسية المعبر الأخير من الريف الشمالي إلى المدينة المحررة.

وازدادت أهمية هذه المعابر، بعد بدء القتال بين فصائل الجيش الحر وجيش النظام في مدينة دير الزور مباشرة، وقد أدى هذا القتال إلى حصار مركز المدينة، من قبل قوات النظام، وقطع الطرق البرية التي تربطها بريفها، وللتغلب على تلك المعضلة، كان لا بد من تفعيل المعابر النهرية.

ويعتبر معبر (الجنينة – البغيلية)، شمال غربي مدينة دير الزور، والذي يربط المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام بالريف الشمالي أكثر المعابر نشاطاً، ويليه بالأهمية معبر (حويجة صكر)، شمال مدينة دير الزور، الذي يربط بين المناطق المحررة والريف الشمالي أيضاً، والذي تضاعفت أهميته بعد انهيار جسر السياسية، ويعتبر الآن المنفذ الوحيد للأحياء المحررة، معبر حوايج ذياب، غرب مدينة دير الزور، من أهم المعابر المائية، التي تربط ضفتي الريف الشمالي والجنوبي، بالإضافة إلى معابر أخرى، غربي وشرقي دير الزور، تتناقص أهميتها، بسبب أتساع مجرى الماء فيها، أو عدم وجود طريق بري إليها، أو وجود جسور لم تنهار مثل جسر الميادين أو البوكمال.

كان لهذه المعابر الأثر الكبير في الاتصال، بين مناطق ريف دير الزور وبين ريفها من جهة، وبين ريف دير الزور ومحافظة الرقة والحسكة من جهة أخرى، كما يؤكد حمد ذياب(38عاما)، أحد العاملين في معبر (حوايج دياب)، على أحدى العبارات، (سفينة كبيرة قادرة على حمل السيارات الكبيرة والمتوسطة): "نحن نختصر الجهد، والمسافة على الناس، ننقل سيارات، بحمولات تصل إلى عشرة أطنان، ننقل سيارات الجيش الحر، وصهاريج تجار النفط، وننقل النازحين من قراهم، جراء القصف، أو بسبب القتال بين تنظيم الدولة وفصائل الجيش الحر".

تقوم قوات النظام باستهداف متعمد ومتكرر لهذه المعابر، وأدى القصف إلى حصول مجازر مروعة بحق المدنيين، كان أخرها مجزرة معبر(حويجة صكر) فجر يوم الحادي والعشرين من شهر أيلول الجاري، فقد أدى قصف مدفعية النظام على المعبر، إلى استشهاد تسعة مدنيين، وأصيب خمسة عشر آخرين بجروح، معظمهم من النساء والأطفال، وفي وقت سابق استهدف طيران النظام معبر مائي، في منطقة عياش، القريبة من قوات النظام المتمركزة في اللواء (137)، الواقع غربي مدينة دير الزور، فأدى القصف، إلى استشهاد خمس مدنيين، بينهم أطفال ونساء، كما أدى سقوط قذيفة مدفعية، مصدرها قوات النظام، على معبر حوايج ذياب، إلى إصابة اثنين من العاملين فيه بجراح خطيرة.

يقول (خضر الأحمد) 25سنة، وهو أحد عناصر أحرار الشام، المشرفين على المعابر، في الريف الغربي، قبل دخول تنظيم الدولة الإسلامية إلى المنطقة: "لقد كنا عدة أفراد، نشرف على المعابر بنوبات، ولم يكن معنا إلا السلاح الفردي. ونحرص على عدم تواجد السلاح الثقيل، أو سيارات تابعة لنا، في محيط المعبر، لكي لا تجد قوات النظام فرصة لقصف المدنيين، وأغلب المرات التي قصفت فيها المعابر، لم يكن هنالك تواجد للجيش الحر، في محيط المعبر".

هنالك جملة معوقات، وصعوبات أخرى، تواجه عمل المعابر المائية، أهمها، تجاوزات اللجان الشعبية، الموالية للنظام، في المعابر التي تسيطر على أحد أطرافها، كمعبر (الجنينة البغيلية)، ومن هذه الممارسات، الإهانات، التي توجه للعابرين والعاملين فيه، والمحسوبية، وحتى السرقات.

يقول محسن صالح 23سنة:"أخذت زورق لي، لأعمل في هذا المعبر، ولكني تركت من اليوم الأول، لأن اللجان الشعبية تشترط أن يتم تجميع الزوارق، في نهاية اليوم، لديها ثم تأتي في اليوم الثاني، لتجد أن محرك زورقك قد سرق".

ويضيف: "عندما اشتد القتال، في المناطق المحررة، بين تنظيم الدولة الإسلامية، وفصائل الجيش الحر، أصبحت المعابر المائية، ميدان للصراع، بين طرفي النزاع، فتم إغلاق معبر عياش لفترة، واعتقال عدد من العاملين فيه، من قبل، تنظيم الدولة الإسلامية، بسبب مرور، مجموعات من الجيش الحر، عن طريقه، وأغلق أيضا معبر حوايج ذياب، للأسباب ذاتها، وبعد فترة قصيرة، تم فتح المجال للعبور فيهما، من جديد".

و يوضح (ع. ك)، من أبناء ريف دير الزور الغربي، والذي يمر من معبر حوايج ذياب باستمرار، بحكم عمله بمصافي النفط (حراقات)، في الطرف الثاني: "من المحال إغلاق المعابر، بشكل كامل، لأن عمل الأغلبية العظمى، من أهالي المنطقة، يتوقف على المرور منها".

لتبقى المعابر النهرية، هي طرق التواصل الوحيدة، لأهل دير الزور على جانبي نهر الفرات، وللتواصل مع خارج المحافظة خاصة الحسكة، بالرغم من الخطورة الكبيرة مع تكرار استهدافها بالقصف من قبل قوات النظام.

ردّاً على مقالة "الست بتلا.. حاكمة السويداء وشيختها"
السويداء بين المطرقة والسندان

■ السويداء - كنان خداج

المجتمعات المنغلقة من أكثر المجتمعات إثارةً للفضول لا شك أن أي كاتب أو باحث ستثيره فكرة الخوض في المياه العميقة لتلك المجتمعات، وربما هذا ما كان يحاول فعله السيد عامر محمد في مقاله "الست بتلا حاكمة السويداء وشيختها"، إلاّ أن الأخير لم ينجح حتى بخدش السطح السميك للمجتمع الدرزي وتفاصيل حياته المعقدة، فبعد قراءة مقالة السيد محمد عامر بتمعن أصبت بالصدمة حول ما ورد فيها، فأنا وحتى فترة قريبة من الآن كنت مقيماً في السويداء وتفاجئت بوجود حاكمة دينية للسويداء دون أن يعلم أحدٌ من سكانها ولذلك وجب توضيح بعض النقاط.

السيدة بتلا أو الست بتلا كما يشاع عنها بمحافظة السويداء هي من النسوة القلائل اللواتي اخترقن عالم الموحدين الملفوف بالضباب والذي كان حصري للرجال، وقد اكتسبت السيدة بتلا متابعة واسعة في الأوساط الدينية منذ بدء حقبة التسعينات وأقامت حلقات التعليم الدينية للنسوة حصراً، مما أدى لتشكل حلقة من النسوة المتدينة حولها وحصراً النسوة، وكونّوا ما يشبه جماعة خاصة بتعاليم متطرفة من المذهب التوحيدي، مما أدى لعدم تأقلم تلك النسوة مع الواقع الاجتماعي للمحافظة وسجلت حالات طلاق كثيرة، عداك عن إخراج البنات من التعليم المدرسي بغية إشراكهن في حلقات التعليم الخاصة بها، وبناءً على تلك الممارسات للست بتلا وجماعتها شاع وصفها "بخرابة البيوت"، مما أدى إلى تراجع شعبيتها إلى حدٍّ بعيد.

لقد وصف السيد محمد أن آلاف المؤمنين يصطفون لدخول مجلسها!، أستغرب جداً وجود هذه الحشود الجماهيرية لمشاهدة الحاكمة التي لم يسمع بها أحد، ودون أن يلاحظها أحدٌ من سكان المحافظة، إن المقال مليء بالمغالطات عن واقع السويداء الديني والعسكري والجيوسياسي، وأظن أن الكاتب إما أنه لا يعلم شيئاً عن السويداء، أو أنه حصل على معلوماته من مصدر خاطئ لأنه جعل من سيدة بالكاد يسمع باسمها حاكمةً لمحافظة السويداء دون أن يضع أي دليل على زيارة الأسد لها أو عن أي تنسيق أمني معها مباشر كان أم غير مباشر عن طريق أزلامه، علماً أنّ السيدة بتلا لا يوجد لها مكانة بين مشايخ التوحيد في مسألة رمي الحرم على أحد أو الإفتاء، ومن المعروف أن المكانة الدينية في محافظة السويداء الصغيرة ترجع لمشايخ العقل الثلاثة "حكمت الهجري وحمود الحناوي ويوسف جربوع".

أما ما ذكر عن وجود تيارين متناحرين في محافظة السويداء الأول هو تيار يساري علماني ملحد والثاني هو تيار ديني متطرف بما يشبه داعش درزية هو كلام غير دقيق، فمن يعرف عادات الطائفة الدرزية يعلم أن مجتمعها منقسم إلى قسمين مجتمع "جهال" حسب الوصف الديني والثاني "عقال"، أما عن الأول فهو وسط مدني بامتياز لا يتقيد الشاب فيه بأي تعاليم دينية، والثاني هو وسط عقائدي ديني منغلق له مسالكه الخاصة به ويحق لأي فرد "ناضج ومؤهل" أن يصبح من العقال بمجرد اقتناعه بالفكرة دون أي إجبار أو ترهيب، لقد تأقلم المجتمع في مدينة السويداء مع هذه الثنائية وأصبح يتسم بالتناغم بين هذين التيارين وإن ازدادت الهوة بينهما، ذلك لأن المجتمع الدرزي مجتمع مدني بامتياز منفتح نسبياً على الآخر ولديه القدرة على تقبله، إن مجتمع الجهال - حسب الوصف الديني - يشكل السواد الأعظم من المحافظة فالحديث عن فتوة دينية - إن وجدت هكذا فتوة - من قبل السيدة بتلا أو غيرها للشراء من هذا المحل أو ذاك بهدف إقصاء المنافسة التجارية أو أي هدف آخر لن يحمل هذا الأثر لأن الفئة التي تحرك الطلب في المحافظة هي فئة الجهال.

لا أحد ينكر سلطة المشايخ الدينية على المجتمع، هي سلطة موجودة لكنّها محدودة جداً، فالمجتمع الدرزي أولاً وآخراً مجتمع شرقي، لكن وصفه بأنه خلق سجنا كبير للشباب الجامعيين وتصوير أنّ المحافظة تقبع تحت حكم ميليشيات دينية متشددة هو مبالغة كبرى لا أساس لها من الصحة، الميليشيات موجودة لكنها موجودة على أطراف المحافظة بهدف حمايتها - حسب تعبيرهم - وهي ليست من لون واحد فهناك ميليشيات ممولة من وئام وهاب تأخذ أوامرها من نزيه جربوع وتنضوي تحتها بشكل غير مباشر اللجان الشعبية، وهناك ميليشيات أخرى تحت قيادة وحيد البلعوس وهي الأكثر قوة وفاعلية، ويصعب على أي شخص لا يعرف تفاصيل الوضع العسكري في المحافظة الفصل بين تحركات هذه الميليشيا أو تلك.

مشايخ من الطائفة الدرزية عند مقام شيحان في السويداء

هناك من يسعى لتصوير أن كلّ تمردٍ حدث ضد النظام كان محدوداً بجماعات متشددة وأصولية إسلامية أحد أهم أهدافها اجتثاث الأقليات من الجغرافيا السورية، هذه البروبغاندا المشوهة يتفق عليها المتشددون والنظام، فمنذ فترة ظهرت جماعة مسلحة بقيادة الشيخ وحيد البلعوس "أبو فهد" وهي جماعة لا تتبع لأحد وعلى خلاف جذري مع النظام، فالأخير يرى فيها خطراً كبيراً على نفوذه في المحافظة، وقد كسبت تأييداً هائلاً في كل الأوساط سواءً المدنية أو الدينية على حدٍّ سواء، هذه الجماعة ليس لها أي نشاط سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي وحسب تعريفهم إنهم موجودون لحماية حدود المحافظة ممن يريد الشر لها، ولا يخفى على أحد الصدامات التي حدثت بينهم وبين النظام والذي كان أولها اقتحام كتيبة سد العين نهاية كانون الأول 2013 وإخراج الشباب الذين سوقوا إلى الخدمة الإلزامية، وثانيها كان مظاهرات مسلحة ضد وفيق ناصر رئيس فرع الأمن العسكري في السويداء والمطالبة بإقالته، وكان آخرها الخلاف الذي حصل بين النظام والميليشيات التابعة له من جهة وجماعات المسلحين بقيادة البلعوس من جهة أخرى إبان أحداث دير داما عندما لم يساندهم النظام ومنع عنهم الدعم المدفعي والجوي وتركهم وحيدين في الميدان، هذا وقد صرّح الشيخ البلعوس في تأبين أخيه الذي استشهد في معارك دير داما إنّ جماعته ستقوم باقتحام كتائب النظام واغتنام أسلحتها إذا لم يتم إمدادها بالسلاح الثقيل.

ههنا سقطت كافة الادعاءات التي أطربنا فيها إعلام النظام على مدى أربع سنين من الثورة حول حماية الأقليات، والوجه الآخر لهذه البروبغاندا المشوهة التي يتبناها المتشددون حول مسؤولية الأقليات

متى ستشرق شمس العيد على أطفالنا

■ مها الخضور

حصراً عن كل جريمة حصلت في سوريا، ولاستمرار نجاح هذه الدعاية كانوا حريصين على عدم حدوث أي تحرك ضد النظام في أوساط الأقليات ففي السويداء وبعد كلّ تحركٍ مضاد للنظام يحدث تحرك من قبل المتشددين ضد المحافظة لتقع مرةً أخرى بين مطرقةِ النظام وسندان المتطرفين، ففي السادس عشر من نيسان الماضي تبنت جبهة النصرة قصف المحافظة بصواريخ غراد عقب المظاهرات الاحتجاجية التي طالبت بإقالة وفيق ناصر، وتبع ذلك محاولة اقتحام دير داما عندما اتسع تأييد الشيخ البلعوس على حساب النظام ومطالبتهم بإعادة العسكريين من أبناء المحافظة للخدمة فيها، المثير للسخط أن كاتب المقال وصف الذي حدث في داما ودير داما بأنّه حدثٌ مفتعل بغية إعادة وئام وهاب إلى السويداء هذه مغالطة كبرى وتضليل إعلامي واضح وممنهج، فمن الظلم وصف اقتحام المتطرفين لدير داما بأمر اختلق لتبرير عودة وئام وهاب إلى السويداء، الاقتحام الذي أودى بحياة خمسة عشر شهيداً بينهم الطفل نادر أديب القنطار الذي جرى إعدامه ميدانياً بدمٍ بارد من قبل المتشددين، علماً أنّ طرد وئام وهاب من المحافظة جرى عقب هذه الأحداث وجرى تحت ضغوط من مشايخ الدين والشباب على حدٍّ سواء، كون الميليشيات الممولة منه لم تشارك بالاشتباك ومنعت السلاح الثقيل عن المقاتلين في الميدان والقتيل الوحيد الذي سقط منهم كان جراء قذيفة هاون سقطت على بعد 3كم من مواقع الاشتباك، إذّنه لمن الضروري أن ندرك أن النظام والمتطرفين في نفسِ الخندق في مسألة الأقليات، كلٌ يخدم الآخر النظام يصور نفسه أنّه المخلص للأقليات من الأكثرية المتشددة، والمتطرفين هم المخلصين من ظلم الأقليات والأقليات هم الجزارين أعداء الثورة السورية.

إنَّ الاعتقاد بأنَّ هنالك حاكم فعلي لمحافظة السويداء يديرها بالشكل الذي يريده ويعفي من يريد من الخدمة الإلزامية، ويأمر الشعب بالشراء من ذاك الدكان دون الآخر هو تعامي مقصود عن الواقع الجيوسياسي للمحافظة، محافظة السويداء لا تملك حاكم وتتأرجح بين مجموعة قوى عاملة فيها، هذه المحافظة ليست مؤيدة للنظام ولا معارضة له كلّ ما في الأمر أن بشار الأسد استطاع تصوير نفسه بأنّه أفضل الموجود ولم يكلف أحدٌ نفسه عناء إثبات العكس.

لم يعد السوريون يكترثون كثيرا للمناسبات الاجتماعية واقتصر غالبيتهم على أداء فروضهم الدينية في منازلهم، لذا فقد العيد جماليته التي كانت طوال قرون وبهت لونه ولم يبقى منه في سوريا سوى اسمه. ليلة العيد لم يحلم الأطفال في بلادي بالهدايا والألعاب كما اعتادوا أن يفعلوا كل عام قبل هذه الأزمة التي أفقدتهم الكثير من مشاعر الطفولة بسبب ما رأت عيونهم من ويلات وما قاسوا من خوف وجوع وبرد منذ ما يقارب أربعة أعوام.لقد أصيب قاموس معاني الكلمات والمصطلحات عند أطفالنا في مقتل فاختلطت المعاني والعبارات وأصبحت جميعها تصبّ في اتجاه واحد وهو الحرب الدائرة في البلاد والتي لم ترحم طفلا أو كبيرا بغض النظر عن الانتماء السياسي لذوي الأطفال سواء كانوا مع هذا الفريق أو ذاك.

وقد يكون من الضروري الاهتمام بلغة أطفالنا التي تعكس التشوهات التي تعرضت لهم نفوسهم وشخصياتهم جراء العنف المبالغ ضدهم، ويرى المهتمون بهذا الشأن أن مفردات الأطفال السوريين باتت قاسية لتتناسب مع قسوة الظروف التي يمرون بها فغلبت مفردات القتل والتدمير والاغتصاب والتشبيح وغيرها عشرات المفردات الأخرى على لغتهم التي لا تليق بعفويتهم وبراءتهم كونهم ورغك كل شيء مازالوا أطفالا. وقد لفت انتباهي أن غالبية الأطفال الذين سألتهم عن تحضيراتهم للعيد مثلاً لم يكترثوا لهذه الكلمة كثيراً بل على العكس فاجأني كثير منهم بأنه أجاب بكلمات لا تمت لموضوع العيد بصلة وإنما تعبر عن ما يدور في خلده ليل نهار. إنها حقيقة قاسية ولكن علينا أن نعيها نحن الكبار علنا نستطيع إنقاذ ما أمكن من براءة أطفالنا الذين سيبنون سورية القادمة.

ميرنا8- أعوام من حي الرز وهو أحد الأحياء الموالية للنظام في مدينة دمشق قالت: «لم نشتري هذا العيد أية ملابس أنا وإخوتي فوالدي استشهد قبل ستة شهور وأمي تبكي كل مساء» وبعد صمت غلب أصوات المدافع التي تضرب دمشق منذ أعوام، قالت الصغيرة وكان واضحاً من كلامها أن أحلامها لا تعدو النجاة من الموت المحتم الذي يلف مدينتها من كل جانب: «اللّه يكون بعون الناس كلهم خايفين من القذائف مين بدو يعيد؟» وتحدثت ميرنا طويلا عن القذائف والموت والشهداء الذين قتلهم الإرهابيين ولم تنسى التعريج على الموقف الدولي من الحرب في سوريا قائلة: «كل الدول العربية والأجنبية ضدنا».

أطفالنا لم يعودوا يشبهون ما كانوا عليه قبل أعوام فقد امتلأت ذاكرتهم الصغيرة البريئة بكثير من مشاهد الخوف والرعب، مما ينبغي أن يبتعد عنه أمثالهم، وامتزجت رائحة الدم في أنوفهم برائحة كعك العيد، واختلطت في أذهانهم الكثير من المعاني والمعطيات، فلم يعد لشيء يمر بهم قيمة أو معنى حتى العيد لم تعد له تلك البهجة والفرحة التي اعتاد أطفالنا على استقباله بها.

وفي تركيا التي قارب عدد اللاجئين السوريين فيها المليون ونصف المليون لاجئ بينهم أكثر من خمس مائة ألف طفل وغالبية هؤلاء الأطفال يعانون الحرمان بكل ما تعنيه الكلمة، حيث يبدأ غالبية الأطفال بالعمل في سن مبكرة جدا 7-10 سنوات في سبيل تأمين لقمة العيش أو أجرة المسكن لعائلاتهم. هناك يشعر المرء بالترف الحقيقي حين يرى طفلاً سورياً يرتدي ملابس المدرسة أو يلعب في الحديقة العامة لأن غالبية الأطفال الآخرين لا يجدون السبيل إلى ذلك.

في حي كاراطاش أحد أحياء مدينة غازي عنتاب قرب الحدود السورية يلعب بعض الأطفال السوريين في أحد شوارع الحي ويحمل كل منهم بضع أكياس من المناديل الورقية والعلكة التي يبيعونها للمارة ولا يكترث هؤلاء الأطفال كثيراً للتقويمين الغربي أو القمري ولا يعنيهم أن هذا اليوم هو يوم العيد الكبير بل كل همهم هو كم سيكسب كل منهم في آخر النهار وكم سيستطيع أن يحمل من فرح لعائلته التي تنتظره.

أحمد10- أعوام يقضي نهاره منذ الصباح الباكر وحتى المساء في الشارع بالقرب من إشارة المرور قرب الجامعة في مدينة غازي عنتاب ويبيع المحارم والعلكة بلغة تغلبها لغة التسول فهو يعرف بالفطرة أن مهنته هي في الأصل شكل من أشكال التسول وليست أي شيئ آخر، لكن ما يجنيه من ليرات قليلة في اليوم يسد جوعه وجوع عائلته المكونة من خمسة أشخاص لم يكن بحوزتهم أكثر من مائة ليرة سورية بعد دخولهم إلى الأراضي التركية قبل أكثر من عامين. وقد فاجأه كثيراً أن يسأله أحد ماذا يفعل في أيام العيد سؤاله فأجاب بدهشة: «العيد كان زمان قبل الحرب، كنا نشتري أواعي جديدة ونروح ع المراجيح ونزور الأقارب.. أما اليوم لا نستطيع أن نفرح ونصف العائلة قتل في حلب والباقي إما مهجر أو محاصر».

سلمى13- عام وقفت أمام أمام أحد المكاتب التي ترعى أسر الشهداء والمعتقلين بريف حلب بانتظار المساعدات التي سيقدمونها بمناسبة العيد تقول: «لو انهم استمروا بتقديم المساعدات مثلما فعلوا سابقاً لربما كان الوضع أفضل ولكن والدتي لم تتمكن من شراء حقائب المدرسة لي ولإخوتي فكيف ستتمكن من تقديم العيديات أو شراء الحلوى في العيد؟؟ لو أن البرميل الذي قتل أبي قتلنا لكنا ارتحنا مثله فهو لا يفكر الآن بالطعام أو اللباس لأنه صار في الجنة».

هذا العيد وقبله أعياد أخرى كثيرة احتفل فيها الناس في كل أنحاء العالم إلا السوريين، فأطفالهم لم ينتظروا شروق شمس العيد كباقي الأطفال وإنما اكتفوا بأحلام صغيرة جدا أصغر من أحلام كل أطفال العالم وتجسدت تلك الأحلام ببقائهم على قيد الحياة برفقة من تبقى لهم من عائلاتهم فوق التراب وأحيانا كانت الأحلام موجعة بأن يتسنى لهم زيارة قبور أحبتهم وذويهم أو اللحاق بهم للخلاص من أحزانهم وأوجاعهم التي تعذبهم وحدهم وتقتل فيهم الطفولة.

مخيم اليرموك
مأساة فلسطيني بيد فلسطيني

■ عامر محمد

الشهير عن مخيم اليرموك بجنوب العاصمة السورية دمشق بأنه خاص باللاجئين الفلسطينيين عام 48، إلا أن أكثر من عشرين عاماً مرت عليه، غيرت التركيبة السكانية الخاصة بالمخيم فجعلت غالبية سكانه من السوريين، سواء كانوا دمشقيين أو من مختلف المناطق السورية الأخرى، توسع المخيم وازدهرت فيه أسواق الملابس والسيارات، وازدهرت كذلك فيه حرف يدوية كثيرة، كان المخيم بالإضافة لكونه منطقة اقتصادية مهمة في العاصمة السورية، منطقة نشاط لتنظيمات سياسية فلسطينية قريبة من دمشق، بعضها ينشط في مدن عربية أخرى كحركة حماس، وأخرى أنشأتها دمشق أو ساهمت في خلقها عبر الانشقاق عن حركات أصيلة كحركة فتح الانتفاضة، هذه المنظمات البالغ عددها أربعة عشر فصيلاً فلسطينياً، لم تستطع خلال تواجدها الطويل على الأراضي السورية من أن تشكل عامل جذب للشباب الفلسطيني الذي اعتاد أن يشعل المخيم بالمظاهرات مع كل مناسبة فلسطينية كيوم الأرض، أو حدث فلسطيني كالعدوان الإسرائيلي الأخير على غزة في عام 2008.

بقي الفلسطيني في مخيم اليرموك على الأقل، بعيداً نسبياً عن الحدث السوري في تداعياته الأمنية، حيث ظل المخيم بأسواقه الشهيرة كسوق لوبية وصفد وشارع الثلاثين يفتح محاله حتى ساعات لم يكن قلب العاصمة فيها يشهد أية حركة، الزائر للمخيم طوال عام 2011 وحتى بدايات 2012، كان يبدو له أن التاريخ لا يزال في ما قبل الخامس عشر من آذار من عام 2011، لكن الشباب الفلسطيني الذي لم يكن قادراً على التظاهر في المخيم طول فترة الحراك الشعبي السوري إلا فيما ندر، كان يسجل تواجداً كثيفاً في مظاهرات حي الميدان منذ أيامها الأولى، كان التوجه لكثير من الشبان إلى جامع الحسن فعلاً يمارس كل جمعة، في داخل أزقة المخيم كانت أنباء مخيمات الرمل الفلسطيني في اللاذقية والوافدين في درعا قد بدأت تترك أثرها على الفلسطيني الذي انقسم كما هو حال السوري بين مؤيد ومعارض لنظام الحكم.

مجزرة الخالصة

في الخامس من حزيران 2011، قام النظام السياسي السوري عبر الفصائل الفلسطينية بحركة غير مسبوقة، حيث حشدت الفصائل شبان متحمسين للغاية، ونقلتهم إلى الشريط الحدودي، ليفاجئ الشبان بأن بإمكانهم تجاوز الحدود سيراً على الأقدام في حقل ألغام طالما كان عائقاً لهم أمام الأرض الأم، حقل ألغام بالية ومنتهية المفعول، فتح جنود الاحتلال النار وقتلوا عدداً من الشبان والشابات في تلك الصبيحة.

في اليوم التالي استعد المخيم لتشييع شهداء الشريط الحدودي، وكما هي العادة في اليرموك مع كل تشييع لشهيد قضى في معركة أو قيادي كبير أو حتى رفات شهيد وصلت بعد سنوات من استشهاده، خرج المخيم عن بكرة أبيه خلف الجثامين. الفصائل الفلسطينية وبالذات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة شاركت عبر بعض مسؤوليها، طافت الجثامين المخيم ووصل الموكب إلى مقبرة الشهداء، هنا يتناقل شهود عيان روايتان لما حدث بعد ذلك، تقول الأولى أن بعض المشيعين استفزهم حضور الفصائل الفلسطينية للدفن ووجهوا انتقادات إلى قيادي الفصائل المتواجدين في مقبرة الشهداء، انتقادات سرعان ما تحولت لرد فعل أضطر على إثره المرافقون المسلحون لقيادات القيادة العامة لإطلاق النار، الرواية الثانية تقول إن عائلات كانت تتابع التشييع من شرفات المنازل وترش الرز على المارين، أسقطت شيئاً مما يرش على أحد قيادات الجبهة، فظنت مرافقته أنه هجوم عليه فأطلقت النار، واندلع المشهد بين شبانا هاجموا الفصائل الفلسطينية بالحجارة وبين إطلاق نار من قبل المرافقة الخاصة لقيادي الفصائل، وتحولت شوارع المخيم الرئيسية لساحات حرب، ازداد عدد الشبان ودعمت الفصائل من عناصرها، وازداد عدد الشهداء، توجهت جموع الشبان إلى مبنى الخالصة الذي يعتبر المقر الرئيسي للجبهة الشعبية القيادة العامة، أحرق المبنى وهرب عناصره ولم ينم المخيم، عند الفجر تدخلت الفرقة الرابعة من الجيش السوري، فحاصرت الخالصة وحمتها واعتقلت مئات من الشبان الفلسطينيين.

اللجان الشعبية تنتشر

في الحادي عشر من تموز 2012 استشهد 17 جندياً فلسطينياً من جيش التحرير الفلسطيني في حلب بعد أن اختطفهم مجهولون وهم في طريقهم من معسكر للتدريب في مصياف بحماة باتجاه حلب، وكان الحدث صادماً للمخيمات، التي خرجت تنديداً بالمجزرة المروعة، وكان نصيب اليرموك حينها عدداً من الشهداء بعد تظاهرة حاشدة في حدث دق ناقوس الخطر في المخيم، إذ إنها المرة الأولى التي يسقط فيها شهداء برصاص الأمن السوري داخل المخيم منذ بداية الأحداث، فالتهب المخيم، وتدخلت مجموعات للجيش الحر من أحياء التضامن، واشتبكت مع الأمن السوري، وهو ما قاد النيران إلى الأحياء المجاورة، التي أعلنت معها بداية اشتعال دمشق، فعادت الجبهة الشعبية – القيادة العامة إلى مشروعها القديم الجديد، وطالبت في اجتماع فصائلي بتشكيل لجان مسلحة تحت شعار "حماية المخيم"، ورغم جودة الشعار إلا أن جميع الفصائل أدركت بحكم خبرتها بواقع الحال السوري من جهة، وبحجم التصاق القيادة العامة بسياسات النظام من جهة أخرى، أنها أمام وصفة جديدة لتوريط المخيمات، فرفض البعض الطلب وقبله آخرون، وتحملت الجبهة الشعبية – القيادة العامة مسؤولية تشكيل هذه اللجان على عاتقها، وتحملت مسؤولية النتائج وحدها، كما قال أمينها العام أحمد جبريل في خطاب له بعد رفض الفصائل.

يوم الميغ

مخيم اليرموك محاط بمناطق دخلت في قلب الصراع السوري في فترات مختلفة من عام 2012، فيلدا وببيلا والحجر الأسود والتضامن شهدت مظاهرات قبل أن ينشر فيها مسلحون قالوا إنهم يتبعون للجيش الحر، بدأت المناوشات بين عناصر الحر في جوار المخيم وبين عناصر الفصائل الذي انتشروا على حدوده، في ذات الوقت بدأ المخيم يسجل حالات اختطاف لفتيات وانفجار عبوات صوتية وعمليات اغتيال وقصف بالمورتر، مناطق محيط المخيم اشتعلت أكثر، وفرّ جزء من سكانها باتجاه اليرموك، غصت المدارس والجوامع بالمهجرين من كل مناطق العاصمة ومخيماتها الأخرى، عدد كبير من سكان يلدا تحديداً نزحوا إلى اليرموك.

كانت المعارضة السياسة السورية تذكر مخيم اليرموك كثيراً، وتعتبره تحت سيطرة "شبيحة القيادة العامة"، فيما كانت بعض الفصائل الفلسطينية تجتمع مع قادة كتائب الحر في الحجر الأسود ويلدا، ويطلبون منهم عدم التدخل في اليرموك وعدم دخوله، كانت الكتائب المتعددة تعدّ بذلك لكنها تخطط لأمر مختلف تماماً.

اتهم النظام حركة حماس التي غادر رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل دمشق متجهاً إلى قطر، بأنها أججت الصراع في المخيم، كذلك تفعل جميع الفصائل الفلسطينية في اليرموك، ورغم أن حركة أكناف بيت المقدس التي تنشط في المخيم منذ بادية عام 2013 تمول من حماس مباشرة، إلا أن لا دليل حقيقي على تدخل حماس في ما سجله المخيم حتى نهاية عام 2012.

صبيحة السادس عشر من تشرين الأول عام 2012 استيقظ المخيم على انتشار الجيش الحر في أزقته، فرّ قسم من عناصر اللجان الشعبية القيادة العامة وانشق آخرون، كان الجيش الحر قد أصبح في أقرب نقطة إلى قلب العاصمة منذ إنشاءه ككيان عسكري معارض، سقط المخيم من النظام، فتصرفت القوات الحكومية سريعاً عبر سلاح الجو في تحرك دفع الفلسطيني ثمنه غالياً، حيث أغارت طائرة ميغ على جامع عبد القادر الحسيني ومدرسة الفلوجة في شارع المدارس، سقط العشرات قتلى، وصُعق المخيم، وغادره خلال أربع وعشرين ساعة عشرات الآلاف من سكانه السوريين والفلسطينيين، صدم العالم ودان المجزرة واستمر الضغط السياسي على النظام لأيام، نصحت موسكو بعدم تدخل الجيش السوري في اليرموك، وأعلنت دمشق إنها لن تتدخل بقواتها النظامية في مخيم اليرموك وأغلقته جزئياً منذ ذلك التاريخ.

نصف حصار

بدء البحث عن حل لآلاف اللاجئين الفلسطينيين بين الساسة مَنْ دون جدوى ولا جدية، القوات النظامية وقفت على بعد أمتار من مداخل

أهالي مخيم اليرموك بانتظار مساعدات الأمم المتحدة أيلول 2014

اليرموك، فيما نصبت "اللجان الشعبية الفلسطينية" ممثلة بالجبهة الشعبية القيادة العامة وحركة فتح وحركة النضال الشعبي، حواجزها على المداخل مباشرة، عناصرها المسلحة رفعت المتاريس ونصبت الحواجز، وأصبح الدخول إلى المخيم ممنوعاً عبر المركبات، سار سكان المخيم من قلبه وإلى مدخله وبالعكس لأشهر طويلة كي يحصلوا على الطعام الذي كان يضيق على كمياته يوماً بعد يوم، سريعاً شارك عناصر اللجان الشعبية في حي نسرين المجاور في عملية الإشراف وسيطروا بشكل كامل على الحواجز، وبالذات الحاجز الرئيسي على مدخل اليرموك، بدأت عملية إذلال ممنهجة بحق الفلسطينيين والسوريين الذي فضلوا البقاء في اليرموك لعدم امتلاكهم سبل الحياة خارجه، كأن القصف لا يتوقف على شوارع اليرموك عبر جميع أنواع الأسلحة الصاروخية من قبل قوات النظام والفصائل الفلسطينية التي دعمت عسكرياً بشكل غير مسبوق في تاريخ وجودها في سوريا.

منذ أن بدأ اليرموك يغلي بدأت الفصائل الفلسطينية الثلاث القيادة العامة وحركة النظام وفتح الانتفاضة بتطويع شبان كمقاتلين لديها، المخيم الذي غص بشبان عاطلين عن العمل ومدمنين على الكحول وأصحاب سوابق جنائية، كان أرضاً خصبة لمقاتلين مستعدين لتوجيه سبطاناتهم باتجاه شوارعهم، دفعت الفصائل بسخاء لعناصرها وزودتهم بالرصاص من دون حساب عملياً، كانت النظرية التي طبقها النظام منذ بدء الحراك في سوريا هي الاعتماد على الرعاع كمقتلين، وهذا ما فعلته الفصائل الفلسطينية في المخيم.

دخل عام 2013 على الفلسطينيين سكان اليرموك ليجدوا أنفسهم إما في شوارع العاصمة بعد شردوا من اليرموك أو في داخله يعانون الحصار، قسم كبير منهم توجه نحو قدسيا في غرب العاصمة والتي كانت قد نالت نصيبها من عملية عسكرية لقوات النظام فغادر سكانها وحل محلهم سكان المخيم، بدأت رائحة الهجرة تفوح في أوساط الفلسطينيين فاحتشدوا أمام فرع هجرتهم في شارع بغداد بالمئات، استخرجوا وثائق السفر استعداداً للرحيل نحو أوربا التي كانت الشائعات تشير إلى أنها تستقبلهم من دون حساب، بعضهم وجد نفسه في مخيمات لبنان، آلاف منهم فقدوا مصادر رزقهم وممتلكاتهم التي كانت تأكلها القذائف يومياً في داخل اليرموك، جاع فلسطينيون ولم يجدوا حتى ما الكفاف، كانت الفصائل الفلسطينية تدفع خمس عشرة ألف ليرة سورية للعنصر الواحد، فازداد عدد العناصر من جديد بسبب الفاقة.

المأساة

على مدخل اليرموك عدّ عناصر شارع نسرين والفصائل الفلسطينية أرغفة الخبز، رموا الطعام والخضراوات التي حملها السكان من العاصمة، استمر التضييق لأشهر، اعتقلوا الشبان وأهانوا النساء، في حصار جزئي استمر لتسعة أشهر، حتى الثالث والعشرين من تموز 2013 كانت الحياة لا تزال ممكنة في حد الكفاف في داخل المخيم، أغلق الحاجز الرئيسي في هذا التاريخ بشكل تام وأصبح أرض معركة، مع الإغلاق أعلنت الفصائل الثلاث القيادة العامة والنضال وفتح الانتفاضة ما قالت إنه "تحرير اليرموك عسكرياً" وبدأت معركة تبين لاحقاً أنها لا تتجاوز عملية القصف بالمورتر من خارج اليرموك إلى داخله، بعد أيام قالت الفصائل الثلاث أنها وصلت إلى ساحة الريجة في أول شارع اليرموك الرئيسي، مع قصف من قبل القوات النظامية بصواريخ أرض - أرض، روجت الفصائل لعمليتها العسكرية لأسابيع قبل أن تصمت عن ذكرها، شيئاً فشيئاً جاع المخيم وتسلل الموت إليه.

في داخل المخيم ومنذ أن حوصر جزئياً نهاية عام 2012، ظهرت مجموعات مسلحة عدة قالت إنها تنضوي تحت علم الثورة، الأيام كشفت أن كتائب عدة كانت مختصة في نهب المخيم ولم تشتبك لمرة واحدة مع القوات التي تحاصر اليرموك، لدرجة أن بيتاً في المخيم ممن هجره أهله لم ينجُ من السرقة، وتزعمت أعمال السرقة كتيبة صقور الجولان القادمة من منطقة الحجر الأسود المجاورة، ويتزعمها بيان مزعل الذي صالح النظام فيما بعد وشارك معه في القتال في البويضة الشرقية بريف دمشق.، كأن العناصر الفلسطينية التي تشارك المعارضة كأفراد قد بدأت بتشكيل مجموعات خاصة للدفاع عن المخيم، فتشكلت مجموعات العهدة العمرية، أكناف بيت المقدس، زهرة المدائن.

أكل الفلسطيني في المحاصر في داخل المخيم الأعشاب وبقايا الطعام، في ظل حظر لكل أساسيات الحياة من كهرباء وماء ودواء، واستمرت الفصائل الثلاث مع عناصر حي نسرين في قصف المخيم، انتشرت الأمراض والأوبئة، ووقعت المجاعة، قضى أكثر من مئة وأربعين شخصاً داخل المخيم من الجوع من نساء وأطفال ورجال وشيوخ، ظهرت الفتاوى بشرعية أكل لحوم الكلاب والقطط، وأصبح الرغيف حلماً.

قدرت المصادر الرسمية عدد المحاصرين من فلسطينيين وسوريين في اليرموك بعشرين ألف شخص، ارتفع الرقم وفق تقديرات الأمم المتحدة إلى ستين ألف شخص، غادر قلة عبر الحواجز في أيام أعلنت عنها الفصائل، واعتقل العشرات بلا أي سبب أو ذنب.

مباشرة بعد إطلاق الحصار على المخيم، ارتفعت أسعار السلع القليلة بشكل جنوني، وصل سعر الكيلو الواحد من السكر إلى عشرة آلاف ليرة "60 دولار"، ومع أن الحواجز مغلقة إلا أن البضائع استمرت في الدخول إلى المخيم، بعد أن بات المسلحون في الداخل والخارج يتبادلون لبضائع ويتاجرون بها، بيع كل ما تبقى في المخيم لخارجه، بعد أن نهبت عصابات السرقة معظم بيوته.

حجم الفضيحة أحرج أخيراً الفصائل والنظام، فأطلقت مبادرة حملت اسم "تحييد المخيم" بمشاركة السلطة الفلسطينية التي أرسلت وفداً أكثر من مرة إلى دمشق، حمّل النظام مع الفصائل مسؤولية عدم تطبيق الاتفاق مع الكتائب في الداخل لمن وصفتهم بمتطرفين، تعرقل تنفيذ المبادرة لعشرات المرات، انسحب عدة مقاتلين من جبهة النصرة من المخيم، واستمرت العرقلة في إنقاذ المخيم، الفضيحة التي كانت تكبر، أجبرت النظام على القبول بإدخال المساعدات إلى المحاصرين في اليرموك عبر الأمم المتحدة، عملية لم تستطع وقف الموت، بل زادت منه برصاص مباشر أثناء عملية التوزيع، عرف اسم الموت من اجل الكرتونة كدلالة على ما يحدث في ساحة الريجة أثناء استلام المساعدات، رفض السكان لمرتين على الأقل استلام المساعدات المذلة.

عبد القادر عياش 1911 - 1974

■ ياسر مرزوق

ولد عبد القادر العايش في مدينة دير الزور على نهر الفرات عام 1911، والده عياش الحاج حسن من كبار الزعماء والملاكين والتجار ووالدته السيدة قمر الحاج حسين سليلة الأسرة العريقة ذاتها.

تلقى علومه الأولية في كتاب المدينة، ثم انتقل إلى الكلية الاسلامية في بيروت، ونال منها الشهادة الابتدائية، ثم انتقل إلى المدرسة الإنجيلية الوطنية في حمص، وحصل هناك على الشهادة المتوسطة، انتقل بعدها إلى دمشق وأتم دراسته الثانوية في معهد اللاييك عام 1931.

في العشرينات نفت السلطات الفرنسية أسرته بالكامل إلى مدينة جبلة، بتهمة التحضير لثورة في الفرات لتخفيف الضغط عن ثوار الغوطة وجبل العرب، وحكم الفرنسيون على أخويه محمد ومحمود بالإعدام الذي نفذ في مدينة حلب.

يقول عياش عن تجربته «منذ نيف وأربعين سنة جعلتني النوائب هدفاً لها وما زالت تستهدفني دون أن تهادنني مات أبي في منفاه سنة 1925 وأنا صغير ورمى الفرنسيون أخي برصاصهم ونفيت مع أسرتي أربع سنوات، وفجعت بأخوتي الكبار الخمسة واحداً بعد واحد وبشقيقتي الكبرى وسجنت في قضايا وطنية وفكرية واضطهدت وغمطت ورزئت بموت زوجتي أماً لسبعة أولاد ونكبت بموت أبي ودهيت بخسارة أموال طائلة».

عام 1932 انتسب عياش إلى معهد الحقوق بدمشق ونال شهادته عام 1935 ومارس المحاماة مدة سنتين انتقل بعدها للعمل قاضياً عقارياً في حلب عام 1937 ومعرة النعمان ودير الزور ودمشق وفي عام 1941 عين مديراً لمنطقة الباب ثم السلمية ثم استقال وعاد إلى دير الزور.

تزوج من مديحة ابنة الزعيم محمد العايش سنة «راجع محمد العايش، وجوه من وطني» 1936 وقد رزق بثلاثة أولاد ذكور هم: فاروق، غازي، عبد العزيز وأربع بنات هن فرات، جلاء، شتاء، وفاء وقد توفيت زوجته سنة 1963.

في دير الزور تفرغ عياش للعمل العام فأسس نادي البيت الثقافي عام 1944 في خان ورثه عن والده وقام بإصلاحه والانفاق عليه من ماله الخاص وكان يلقي فيه محاضراته الأدبية والتاريخية، وتحول وجهةً لمعظم مثقفي الفرات آنذاك، وقد أغلق هذا النادي في زمن حسني الزعيم سنة 1949.

عام 1945 أصدر مجلة صوت الفرات وكانت متخصصة بالكتابة عن شؤون وادي الفرات لا تتجاوزها، وكان عبد القادر عياش يكتب جميع بحوثها وتطبع على نفقته، وقد تعرضت للتوقف من قبل السلطات عدة مرات، وقد اهتمت المجلة بكافة أمور دير الزور ووادي الفرات من ثقافة وتراث وأولت الاهتمام بالدراسات العلمية لتطوير المنطقة اقتصادياً وعلمياً كما اهتمت بكل المشاكل التي يعاني منها أهالي وادي الفرات إن كانت زراعية أو طبية أو تعليمية أو عمرانية، واستمرت المجلة اثنين وعشرين عاماً. وقال عنها الدكتور يوسف شقرا: «هذا العمل من شأنه أن يحفظ لنا تراثنا وأن يشجع الآخرين على العناية به ويكون مرجعاً ثقافياً لسكان هذه المحافظة وزوارها».

ترأس عياش المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة سنة 1961 وبقي فيه يناضل من أجل تدوين حضارة وادي الفرات حيث يقول فيه «في الوقت الذي توجد المؤلفات والمصنفات العديدة عن وادي النيل ومدنه وخططه لا يوجد أي كتاب عن وادي الفرات وطلبت الاهتمام بإخراج كتيب عن الفرات للتعريف بحضارته».

طوال حياته لم يتوقف عياش عن المطالبة بالصلاح خاصة في وادي الفرات، ويقول في ذلك: «ما فتئت من ربع قرن أطالب المسؤولين عن طريق مقالاتي في الصحف السورية وفي مجلة صوت الفرات بإنشاء المدارس ودور الكتب وإشراك أبناء الفرات في البعثات التعليمية، ولقد دعوت الأهلين مراراً إلى تأسيس صناعات ومزارع جماعية ومداجن وإلى الاستفادة من أسماك الفرات وهي ثروة هامة مع افتقارنا الشديد إلى استغلالها. ودعوات إلى تشجير المنطقة ومكافحة القذارة وأكل البزر في الشوارع ودور السينما والمحلات العامة لأنه بصاق متواصل».

نشر 117 كتاباً على نفقته حول وادي الفرات، عن التاريخ والجغرافيا والثقافة والتراث، نذكر منها: «الخبز في دير الزور، التداوي المحلي، استقبال المولود في دير الزور، نباتات بادية الفرات، أبرز أماكن الآثار في الفرات، الزواج في دير الزور، سكان وادي الفرات، تقاليد الوفاة بدير الزور، المرأة في الفرات، حيوانات بادية الفرات، المعتقدات الشعبية في وادي الفرات، الأسرة في الفرات، المأكل واللباس، أمثال دير الزور، الترانيم الفراتية للأطفال، طيور بادية الفرات، مؤونة البيت بدير الزور، البيت في دير الزور، المقاهي والدواوين في دير الزور».

في أعوامه الأخيرة تفرغ عياش للعمل على «معجم الكتاب السوريين في القرن العشرين» ترجم فيه لأكثر من ألف أديب وأديبة سورية، وعدد أعمالهم، وأورد موجزاً لحياتهم، لكن القدر لم يمهله لرؤية عمله مطبوعاً فوافته المنية عام 1974 وشيع ودفن في دير الزور.

قال عنه الأديب نظير زيتون: «إنك في نظري ونظر من عرفوك وخبروك وسبروا غورك وقدروك، موسوعة تاريخية اقتصادية، اجتماعية، شعبية للفرات، والفرات السوري قلادة من الزمرد في تاريخ سورية، وتاج من اللازورد على رأس سورية، وسوار من الماس والياقوت في معصم سورية، أو هي تلك الدموع التي انهمرت من عيني آلهة الإخصاب الأسطورية حينما أدركتها العاصفة، ونزعت عنها وشاحها السحري، ورمته في تلك المنطقة الميمونة وكانت أرض الخيرات والبركات.

نعم أنت محام، وأنت أيضاً موسوعة تاريخية اقتصادية اجتماعية شعبية للفرات دلت عليها مؤلفاتك الثمينة، التي فتحت العيون على عالم خيرّ شبه مجهول في وطننا الحبيب».

وقال عنه الشاعر حامد حسن: «من أراد أن يجمع التاريخ، وأعني تاريخ وادي الفرات والجزيرة الفراتية، في حقيبة ويرى أمةً في رجل، فليقرأ ما دبجته براعة العلامة عبد القادر عياش».

أما الأب فردينال توبل صاحب المنجد فقال: «ياليت كل بلدة من بلادنا تفاخر برجل كعبد القادر عياش، يجمع أخبارها ويستقصي الإفادات عنها، ويدونها القرطاس فلا تضيع، وتبقى مع المؤلفات القيمة، التي تركها جغرافيو العرب».

قال عنه الدكتور عدنان الخطيب في مقالته في مجمع اللغة العربية شهر كانون الثاني سنة 1968: «أحب دير الزور حاضرة الفرات حيث رأى النور لأول مرة وكانت على أرضها مدارج طفولته وعلى شطآن الفرات مرابع صباه فهام بها حباً حتى غدا أريج ترابها يغذوه وعبير طرفائها ينشيه ولما شب وفى دينه لوادي النهر العظيم فوقف جهوده وما ورثه أو يجنيه من مال على خدمة هذا الوادي ناشطاً في دراسة تاريخه هاوياً جمع آثار من أقاموا فيه دائباً على البحث والتنقيب عن عادات وتقاليد المعاصرين والغابرين من أهل الفرات مدوناً ما يجتمع لديه من أعراف ومفاهيم تتصل بحياتهم الشعبية فإذا صنفها أخرجها للناس في كتيبات أطلق عليها اسم سلسلة تحقيقات فلكورية من وادي الفرات وقارئ هذه البحوث يجد فيها لمحات تاريخية عما ورثه أهل الفرات عن أسلافهم من عادات وتقاليد كما يجد فيها صوراً رائعة ووصفا ممتعاً لحياة الناس في بيوتهم وفي معايشهم وفي مزارعهم وحقولهم الممتدة على شواطئ الفرات الخصب والثروة في كل من سورية والعراق».

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "7"

■ دمشق – حمزة السيد

العبقري البخيل

لم يعرف حجر ما الطيران أبداً كما عرفت حجارة مجيد جمول التحليق لأمتار في الهواء ولسنوات عبر الزمن، فتلك الأعمال التي ينحتها جمول على الحجر وغيره من اللدائن، تملك قدرة فريدة على الطيران، هذا هو على الأقل حال كتلته التي أنجزها في مدينة المعارض بدمشق 2003، إذ من غير الممكن لمن يرى الكتلة عن بعد إلا أن ينكر وجود القاعدة التي تحملها، ستخدعك الرؤية، ستتخيل أن تلك النهايات الحجرية تحمل العمل بخيوط لا تراها وتسقط به من الفضاء، ستقترب أكثر من العمل فقوته الذاتية، قوة الكتلة الجذابة ستجبرك على ذلك، لتكتشف انك وقعت في شراك جمول الذي شرح هذه العمل تحديداً لمدير المدينة أثناء الافتتاح بالقول" هو صراع بين عدد من الكتل التي تتصارع بين بعضها" العادة لدى التشكيليين، أنهم يقولون مالا نراه، لكن جمول يقول أقل من ذلك الذي نراه، فالعبقري السوري بحق، لا يدرك أي أثر يترك عمل نحتي كهذا فيك.

درس جمول الفن في مركز الفنون التشكيلية بدمشق بين الأعوام 1964 و1968 ثم درس فن النحت في قسم النحت في أكاديمية الفنون الجميلة في وارسو وفي عام 1975 حصل منها على شهادة الماجستير في الفنون بدرجة امتياز من قسم النحت، وعاش بين العاصمتين، دمشق ووارسو التي كرمته عام 2010، فيما عرفت أعماله نجاحاً كبيراً، وتوزعت بين ألمانيا وفرنسا والصين وتونس وتركيا وإسبانيا وإيران، وفي ذاكرة كل سوري، أثر من جمول، فتلك اللوحة التي كانت معلقة على الجناح السوري في مدينة المعارض القديمة في قلب العاصمة كانت له - 1980 جدارية (حضارة سورية)–نحت نافر صفائح نحاسية 19×11متر - غيوم مع أشعة ضوء تنفجر من نقطة لتتوزع في مختلف الاتجاهات، عمال وفلاحون وطلبة يتوسطون اللوحة، بعض من لوحات أوغاريت وأعمدة أثرية، تتناثر بين أشعة الضوء الساطع، نهايات هندسها ولم ينحتها، فمن جديد تنتصر الرياضيات في أعمال جمول، وبالذات في هذا العمل المبكر الذي نقل دون غيره إلى الجناح السوري في المدينة الجديدة.

ليست الرياضيات فقط من تسود في أعمال جمول، فللفيزياء مكانها وسحرها، توازن الكتلة التي لا يرى جمول أنه من داع للفراغ فيها، فعلى عكس ما يشاع، يقول جمول إنه ليس من المهم أن يحتوي كل عمل فني على كتله وفراغ بالمعنى التقليدي الشائع، أي أن تجز بفراغ في قلب الكتلة لأن النحت يتطلب ذلك، إذ يكفيك ذلك الفراغ المحيط بالتكوين، ودع تلك الطاقة التي تحملها الكتلة تفرض سطوتها على الفراغ، لتكون قد حققت المعادلة الأبجدية في عالم النحت، في الفيزياء قد يؤدي سم واحد إلى انهيار الكتلة، لكن ليس أي كتلة، بل تلك الكتل التي يبتكرها جمول، فلو زادت تلك الكتلة في "رحلة قدموس"* قليلاً في الوزن أو الطول، لوقع العمل في عينك وأربكك قبل أن ينهار فعلياً على الأرض، قد تتمكن من تثبيت كتلك بخابور حديدي بين قاعدته وبين جسده، لكن لا حل في عينك سوى أن يكون العمل متوازنا ومريحاً، شعورك بسكونه هو سر بداية فهمك له.

لكن هذا ليس الأثر الوحيد الذي تركه جمول بين السوريين، فإن زرت مقبرة الشهداء في نجها سترى عملاً نحاسياً آخر له "برونز18×2 متر" وفي جرمانا

رفع نصبين في ساحتيها، تمثال حافظ الأسد في الساحة الأولى التي اتخذت اسمه، ويعتبر أكثر عمل نحت للأسد حمل شبه منه، والثاني في ساحة السيوف، إذ أنجز جمول التمثال الكبير في منتصفها، والسيوف الخمسة التي تحيط به، واللوحات النحاسية في القاعدة، وذلك في سنوات بدأت عام 2005 وانتهت عام 2002، والسيوف الخمسة التي تحمل دلالة دينية "الحدود الخمسة لدى الموحدين الدروز" شوهت العمل وغطت عليه، لكن جمول أضطر للحفاظ عليها إذ أنها سبقت انجاز العمل النحتي في داخلها.

لكن جمول كان أمام تحد كبير في ذلك النصب، إذ كان عليه أن يحشر عملاً بين سيوف متقابلة، فهو ليس حر بالكتلة التي سيكون موضوعها الشهداء، كان لا بد من حل فني ولم يكن عصياً على جمول، إذ يتزاحم الرجال نحو الأعلى مع امرأة واحدة، وهذه الأخيرة تحيطهم وتحدد تكويناتهم بقماش يبرع جمول في نحته، فلا هو طري ولا هو قاس، ولا هو يطير مع نسمة هواء، ولا هو بهادئ ساكن، بل يغلي حركة ويضج بالإيقاع، تلك التفاصيل التي يحملها القماش، هي ذاتها التي ستلاحظها في جميع إعماله السابقة واللاحقة.

يعرف جمول الصبر أمام الحجر، يعاشره كأنه إسفنج، ويخلص الكتلة التي في ذهنه منه قليلاً قليلاً، حتى تظهر تلك الكتلة الرشيقة التي يحبها، قبل أن يدخل في مرحلة مزاجية قد لا تنتهي، فتصبح ضربات أزميله ضعيفة وقد تكون مجرد احتكاك على السطح لا يترك أثراً كبيراً، يمارس هذا لأيام بعد أن يكون العمل قد انتهى بعيون الرائي ولم يعد هناك من داع لمزيد من العمل، جمول لا يتوقف، يثابر أمام كتلته حتى الشبع منها، وطالما اشتكى من يقومون بمساعدته من تلك المرحلة الأخيرة التي يبقيهم فيها مستنفرون من دون عمل واضح، إذ يبقى الحجار "المهني" بحاجة إلى كتل كبيرة وواضحة يهدمها، ولا يفهم لماذا يقوم جمول بتلك اللمسات التي لا معنى لها في عالم الحجارين والرخامين، لكنها مرحلة المتعة لأي نحات، تلك السطوح التي تثير الرغبة للمسها وتحسسها، هي تخاطبه ولن تسمعها أنت مهما كنت قريباً، هو فقط يسمع الهمس الخفي للحجر بأن زخرفني أكثر، وحين ستكون نحاتاً ستدرك أي صلاة تلك التي يعيشها الفنان أمام عمله في لحظات الخلق الأخيرة، قبل أن ينكر هو ذاته عمله بعد أن يعلن اكتماله، فهذه عادة سيئة لدى معظم التشكيلين الكبار، الذين يرون أخطاء التكوينات قبل حسناتها حين ينتهون منها، بينما كانوا يبكون منذ قليل أثناء وداع العمل معها، ويلقون القصائد في أنفسهم عن جودة ما صنعوه وما خلقوه، ويقسم الواحد منهم أن ما أنجزه ليس مثيل أو سابق أو آخ.

حين تقترب من شخصية جمول ستتعرف على شخصية صعبة الفهم، وغير طيبة المعشر، وربما قد تصنف بالمملة، تقليدي إلى درجات لا تليق بفنان استثنائي في سوريا، في مرسمه السابق في مشروع دمر والذي قيل أنه لم يكن مستأجراً على حسابه، تجده يعيش بين "اسكتشات" وماكيتات كثيرة أعمال يفكر بانجازها، رسمها باللون الأحمر على قصاصات ورقية، وعدل عليها لأكثر من مرة، ويتحدث عنها بفرح شديد، يجمع من عرفوه عن قرب على وصفه بالبخل، ومن عرفوه في فعاليات فنية ينقلون عنه قصة شهيرة، ففي ملتقى مدينة المعارض ذاته، كان المنظمون قد خصصوا حافلة تنقل الفنانين من موقع العمل إلى قلب العاصمة دمشق، تحديداً إلى منطقة "البرامكة"، ولأن جرمانا التي كان يقيم فيها جمول تقع على الطريق العام، كانت الحافلة تتوقف عند مفترق الطريق إليها أو في ساحة السيوف، فيكمل النحاتون المقيمون فيها طريقهم عبر وسائل النقل العامة، لكن جمول كان يصر على أن تدخل الحافلة حتى منزله في حي الخضر أو سواه، في قلب الزحام الخانق آن ذاك، وطالما اشتبك مع غيره من الفنانين المتأففين من التأخير الذي يجلبه ذلك عليهم، رغم أن الأجرة التي كان سيدفعها جمول من ساحة السيوف حتى منزله هي ثلاث ليرات فقط، إلا انه كان يأبى إلا أن تقله الحافلة حتى منزله.

كان الشباك الكبير الذي يدخله جمول من اجل تفاصيل مماثلة، تقع مع النحات عبد الله السيد، في موقع الملتقى في مدينة المعارض، المعارك والصراخ كان يترافق حين يقوم أحدهما بفتح باب البراد، فحين يفتح جمول الباب ويجد أن أمراً مريباً قد وقع فيه، كأن يكون بابه مفتوحاً أو درجه مختفياً، كان يدخل في حالة عصبية شديدة ويفتح النار لفظياً على المشاركين الآخرين، فيتصدى له عبد الله السيد عدوه الفني اللدود، وقد تستمر المعركة بين الرجلين طوال الليل في تلك الأيام التي يضطر فيه الفنانون للبقاء في موقع العمل، وقد تنشب المعارك أيضاً من اجل نوع الطعام الذي سيطلب للمشاركين، إذ يفضل جمول نوعاً ما لا يفضله السيد، فيطول العناد ويتأخر الغداء.

حتى مطلع عام 1990 ترأس جمول نقابة الفانيين التشكيلين السوريين التي تحولت فيما بعد لإتحاد لهم، الكيان النقابي العاجز بقي جمول رئيسه لسبع سنوات، فيما ترأس أيضاً إدارة معهد ادهم إسماعيل للفنون التشكيلة الذي خرج العشرات من فناني سوريا، وفيما تحاكي أعماله النصبية في البلاد أفكارا الحزب الحاكم بمعظمها، إلا انه اتخذ موقفاً سياسياً واضحاً من أحداث البلاد فقال "سوريا الآن تعيش فترة صعبة جدا، وهذه الفترة مأساة حقيقية حيث يقوم النظام بذبح شعبه، ولا بد من الانتهاء من هذا النظام والاستبداد بأقل الخسائر والعودة لبناء سوريا التي نطمح أن تكون أمًا تجمع كل السوريين بدون استثناء أو ضغائن أو انتقام وتمييز".

*رحلة قدموس أشهر أعمال مجيد جمول وأكثرها توازناً وانسيابية.

د. عمر هشام الشهابي: الخليج 2013: الثابت والمتحول

■ ياسر مرزوق

بقيت دول الخليج العربي بعيدة عن رياح التغيير التي هبت على المنطقة تحت مسمى الربيع العربي، بالرغم من الأسباب الكامنة ودواعي التغيير التي كانت ستضع دول الخليج العربي والسعودية في عين العاصفة، من هنا تبرز أهمية كتابنا اليوم الذي كان في الأصل تقريراً صادراً عن مركز الخليج للتنمية، شاركت به خيرة الأقلام الخليجية، وقام الدكتور شهابي بعملية التنسيق والتحرير.

يتابع هذا الكتاب التطورات والتغيرات الجارية في أقطار مجلس التعاون الخليجي على مدى الأعوام ٢٠١١ - ٢٠١٣ ويسعى إلى تحليلها وتقييمها من منظور متطلبات بناء الدولة الحديثة، ووفق الطبيعة العامة لهذه الأقطار، بما تعانيه من أوجه خلل مزمنة على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والسكانية والأمنية.

يركز الكتاب على يقينية مفادها أن التغيير أصبح مطلباً ملحّاً وضرورياً لمنطقة الخليج العربي بأسرها، ولا يختلف عليه الكثير من أبناء المنطقة، ولكن لا زالت هناك إشكالات تتعلق بماهية هذا التغيير وكيفيته، حيث تعلو هنا الضبابيّة والغموض، وتُطرح تساؤلاتٌ كبيرة بحاجة إلى إجاباتٍ وافية. ولعلّ من أهم أسباب ضبابية الرّؤية في هذا المجال، هو شحّ الدّراسات المختصة والمعالجات المنهجيّة التي تواكب آخر التطوّرات والأحداث في دول المنطقة، وهو النقص الذي يحاول هذا الاصدار سدّه.

يسلط الكتاب الضوء على أن الثابت يكمن في استمرار الاستئثار بالسلطة في مقابل غياب الديمقراطية، فيما يتمثل المتحرك في بروز تحركات واحتجاجات على مستوى دول المجلس، لم يُشهد لها مثيل، ولعقودٍ مضت. ووصل هذا الحراك، بالإضافة إلى الكويت والبحرين ذات الباع السّياسي المعارض الطويل، إلى دولٍ تُعتبر فيها ظاهرة حديثة نسبياً، بما فيها السّعودية وامعن، وهناك بوادر لبروز تحرّكات حتى في الإمارات وقطر. لكن يبقى السّؤال مفتوحاً حول طبيعة ومجرى هذه التحرّكات على المدى القصير والمتوسط، وإذا كانت ستأخذ منحى وطنيّاً تنمويّاً، أم ستدخل في صراعاتٍ فئويّة جانبيّة، في ظل بوادر احتقان طائفي ومناطقي حاد في بعض أقطار المنطقة.

كما يصف الكتاب العلاقات السياسية القائمة في الخليج بين السّلطة والمجتمع في جوهرها - علاقة حاكم برعية، وليست علاقة مواطنين متساوين، وذلك من حيث المبدأ. يُضاف إلى ذلك، النّظرة التي تكوّنها الأسرُ الحاكمة في الغالب لنفسها في إطار علاقتها مع المجتمع والأرض، وهي "نظرة إرث وحقّ" خاص في المال العام، وفي الأراضي، وتولي السّلطة التّنفيذية، لا سيما المراكز الحاكمة أو ما يُسمى بوزارات السّيادة. هذا إضافة إلى المكانة البروتوكوليّة والاجتماعيّة، والنفوذ على المستوى الرّسمي، وفي القطاع الخاص" وذلك لا ينفي تواجد بعض الفروقات بين دول المجلس، خاصة في حالة الكويت، والتي تتواجد فيها بعض مبادئ المواطنة والديمقراطية عبر دستور عقدي ومجلس نيابي فاعل.

وقد تكرّست هذه الغلبة القسريّة في الحكم - في مظهرها الحديث - نتيجةً لبروز ثلاثة متغيرات تاريخيّة رئيسية في المنطقة، وهي:

1. معاهدات حماية وصداقة مع قوى أجنبيّة ذات نفوذٍ عالمي، ووجود عسكريّ في المنطقة، ومصالح اقتصاديّة واستراتيجية ضخمة فيها.

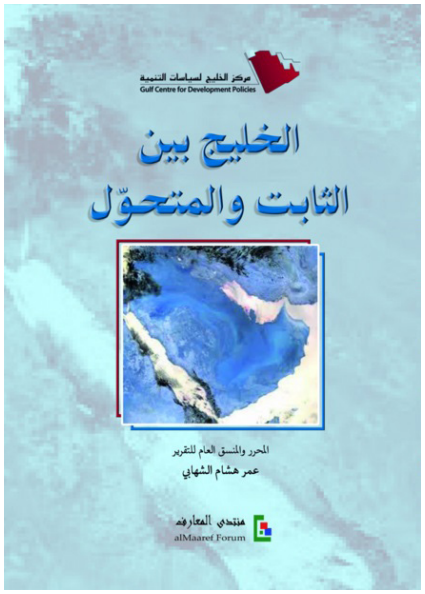

2. صُبّ ريع امتيازات النّفط، وعائدات الحكومات من صادراته، منذ بداية عصر النفط، في أيدي الحكام الذين اتّبعوا سياسات إعادة التّوزيع للوّرثة والنّفوذ بما يُؤدّي إلى ترسيخ سلطتهم الفرديّة المطلقة في الدّاخل.

3 تدفّق الهجرة بين بلدان المنطقة وجيرانها في البداية، ثم من خارجها بشكل كبير، منذ مطلع السّبعينات، الأمر الذي أدّىً إلى تراجع الدّور الإنتاجي للمواطنين، وبالتالي إلى تقزيم فاعليّتهم سياسيّاً واجتماعيّاً.

وقد عاد هذا الخلل السياسي إلى الواجهة في خضم تداعيات الانتفاضات العربية التي أطاحت بحكام في تونس ومصر وليبيا، وقد وصلت موجات الاحتجاجات إلى أغلب دول مجلس التعاون. وهذا يُعطي دافعاً قويّاً لإعادة تقييم الوضع السّياسي في هذه الدّول، والتّأمّل في وتيرة التّطورات داخل كلّ دولة.

وعلى صعيد الخلل الاقتصادي، يبقى الثابت كامناً في دور الخليج باعتباره المصدر الرئيسي للنفط العالمي، في مقابل استمرار الاعتماد على الريع من النفط النّاضب واستمرار كونه العصب الرئيسي للاقتصاد داخلياً. أما المتحول، فهو بروز ضغوطات اقتصادية داخلية، وصعوبات متزايدة في معالجتها، على الرغم من استمرار ارتفاع النفط. وفي هذا السياق تبرز تساؤلات حول سبب وجود فروقات تعدت ٧٥٠ مليار دولار أمريكي في تقديرات صادرات النفط الفعلية، مقابل العوائد العامة من النفط المعلنة رسمياً على مدى آخر عشر سنوات من الطفرة النفطية.

ويتمثل الخلل الإنتاجي في الاعتماد المُطلق، والمُتزايد، على ريع صادرات الثروة الطبيعيّة المعرّضة للنضوب، وهي النّفط الخام، والزيت والغاز الطبيعي، ومن المعروف أنّ مصدر مختلف أنواع الدّخل الرئيسية في دول المنطقة هو الريع النّفطي، والناتج من ارتفاع سعر النفط عشرات المرات بالمقارنة مع تكاليف إنتاجه، وهو خللٌ يتجلى في تركيب النّاتج المحلي الإجمالي وسائر الحسابات القوميّة الأخرى، لأن مصدر هذه المداخيل هو ريع تصدير ثروة طبيعية "ناضبة"، وليس إنتاجية الأفراد والمؤسسات، كما هو الحال في الاقتصاد الإنتاجي. ولكي نُدرك مدى هذا الخلل الإنتاجي؛ علينا أن نتصوّر ما يمكن أن يحصل لجميع مصادر الدّخل في المنطقة فيما لو تمّ استبعاد عائدات تصدير النّفط لأيّ سببٍ من الأسباب.

ونتيجة لعدم رغبة - وربما عدم قُدرة كلّ من دول المنطقة مُنفردة على تبني سياسة نفطيّة وطنيّة تخضع بموجبها صادرات النفط لاعتبارات التّنمية - فقد تمّت تلبيتها للطلب العالمي على النّفط بشكل تلقائي، دون أدنى اعتبار للقدرة الاستيعابيّة أوَ الطّبيعة النّاضبة للثروة النّفطيّة. وبذلك تزايد الاعتماد على ريع النفط منذ عقود، وأصبح هذا الرّيع هو المصدر لإيرادات الموازنة العامة، وميزان المدفوعات، والاستثمارات العامة، وسائر الحسابات القوميّة الأخرى.

وقد صاحب هذا الخلل الإنتاجي المستمر، خلطٌ بين المال العام والمال الخاص، وغياب الشّفافية تجاهه، وذلك إلى درجة اعتبار الموازنة العامة والاحتياطي العام سرّاً على المواطنين في بعض دول المنطقة، وهو الأمر الذي أدّى إلى الكثير من التسرّب، والهدر، وسوء تخصيص عائدات النفط في الاستهلاك الجاري، بدل توجيهها للاستثمار، كما أدّى هذ الخلل إلى تخلّف سياسات إعادة تدويرها داخليّاً وخارجيّاً. وباستثناء الكويت - وتحديداً مع صدور دستور 1962 م - لا تنشر دول المنطقة حساباتٍ ختاميّة للموازنة العامة، بحيث تتضمّن جميع أوجه الدّخل، والنّفقات العامة، ولا حسابات مُدققة للاحتياطي العام، كما إنّها لا تنشر تقارير ديوان المحاسبة، في حال وُجدت أصلاً.

وفيما يتعلق بالخلل السكاني، يتمثل الثابت باستمرار الاعتماد على الوافدين بوصفهم العنصر الإنتاجي الرئيسي في المجتمع، حتى بلغت أعدادهم ما يقارب نصف سكان المنطقة "٤٨ بالمئة" لأول مرة في تاريخها. أما المتحول فيكمن في الدور الاقتصادي المهم للوافدين من حيث كونهم عنصراً إنتاجياً ومصدراً للأيدي العاملة، وقوة شرائية رئيسية في المنطقة، خاصة في السوق العقاري، مقابل دورهم السابق التقليدي، ما يفاقم من الاعتماد عليهم في الاقتصاد المحلي.

وعلى صعيد الخلل الأمني، يكمن الثابت في استمرار عجز بلدان الخليج عن تأمين حماية عسكرية ذاتية، واعتمادها على الحماية العسكرية والأمنية التي توفرها الدول الغربية، حيث يوجد أكثر من ٥٠ ألف عنصر أجنبي في المنطقة. أما المتحول فيتمثل بالإنتفاضات والمتغيرات الإقليمية، من إيران شرقاً إلى مصر غرباً، وبروز بوادر شعبية في الغرب لمراجعة حجم ونوعية الدعم الغربي والوجود العسكري في المنطقة، مقابل تنامي خطاب الوحدة، والخطر الأمني، داخل دهاليز بلدان مجلس التعاون الخليجي.

قد يكون في بناء دولة ديمقراطيّة، تكفل لمواطنيها حقوق وواجبات المواطنة، وتوفّر لهم أسس الأمن والتّنمية المُستدامة. ومن باب الطّرح الأوّلي؛ من الممكن تلخيص مقوّمات هذه الدّولة في ثلاثة عناصر رئيسية: الديمقراطية والمواطنة، التّنمية المستدامة، والوحدة. فالدّيمقراطيّة المواطنة هي الحلّ والنّقيض للخلل السياسي، والمفتاح إلى حلّ باقي أوجه الخلل المزمنة عن طريق تحمّل المواطنين مسؤولية رسم مصيرهم بأنفسهم. أمّا التّنمية المُستدامة، فهي السّبيل للتّغلب على الخلل الاقتصادي وتداعياته؛ من خلل سكاني، وخلل أمني في تذبذب أهم موارد الحياة من ماء وغذاء وطاقة. وأما الوحدة فهي الخيارُ الوحيد لمعالجة الاتكالية العسكريّة والأمنيّة على الخارج، وذلك من جانب دويلاتٍ صغيرة، ليس لها لا حول ولا قوة في تقرير مصيرها حالياً.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة وجذور الإرهاب

■إعداد المحامي فارس حسّان

بنى أرسطو نظريةً متكاملة في الأخلاق والسياسة والاجتماع تقوم على الوسطية في كل شيء بحسب مقاييس عصره، في سلوك الأفراد، وفي أنظمة الحكم، وفي البنية الطبقية المثالية واقعياً للمجتمع، وفي أنواع الدساتير، وفي كيفية الحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وفي السلوك الواقعي الأمثل المؤدي إلى السعادة.

ولو أخذنا مبدأ الوسطية هذا، وحاولنا تطبيقه على الحضارات والمجتمعات، لوجدنا مصداقاً له في تاريخ معظم تلك الحضارات والمجتمعات وتطورها، انطلاقاً من نظرة موضوعية معينة، فالحضارة أي حضارة، هي في النهاية نوع من الضبط والتنظيم لحرية الفرد البدائية أو الفطرية المطلقة، لأنه من دون مثل هذا الضبط والتنظيم، تنعدم فرصة قيام المجتمع والتفاعل السلمي بين أعضائه، فوجود المجتمع يعني أن هناك نوعاً من الضبط، ونوعاً من التنظيم لحرية الفرد المطلقة، وكل ذلك من أجل استمرار الحياة الاجتماعية نفسها، لأنه في ظل الحالة الفطرية وحريتها المطلقة، والمدمرة في الوقت نفسه، لا مجال لبناء الحضارة، حيث أن الجميع، كما وصف توماس هوبز، في حالة حرب مع الجميع.

وعندما تتعرض المجتمعات للعسف وتنسف فيها الوسطية ومبادئ المواطنة تصبح بيئةً حاضنة للإرهاب بل مصدرةً له فعندما نتحدث عن ظاهرة الإرهاب في مجتمعاتنا، فإن هناك نقاطاً لابد من التعرض لها بكل صراحة، هذا إذا كنا نريد فهم الظاهرة ومن ثم معالجتها، وليس مجرد شجبها بلاغياً، فالعنف بصفة عامة، والإرهاب بصفة خاصة، مسألة اجتماعية غير شاذة، فهما وجدا قديماً وحديثاً في كل المجتمعات الإنسانية، وهما يتفشيان كالبطالة مثلاً، فمن المستحيل أن يحقق معدل البطالة التي يتكلم عنها الاقتصاديون نسبة صفر بالمئة، أي معدل توظيف كامل، إذ لا بد من وجود هامش دائم من البطالة يختلف حسب المتغيرات الاقتصادية، فمسألة البطالة هذه شيء طبيعي إذا لم تتجاوز معدلاً معيناً ولكن إذا تجاوزته، كان معنى ذلك أنها خرجت عن الإطار السوي وتحولت إلى علة، وغير السوي في مسألة العنف والإرهاب هو عندما تتحول إلى ظاهرة متنامية متجاوزة المعدلات الاجتماعية المقبولة أو الطبيعية وفق ما يحدده المختصون، ومشيرةً إلى وجود خلل اجتماعي محدد، معبر عنه بفكر شمولي لا بد من أن يفرز في النهاية عنفاً متزايداً ويحول الإرهاب إلى ظاهرة ملحوظة.

و بعيداً عن الفكر المهاجر والمستورد إلى منطقتنا، يطرح تساؤل عن مدى قابلية مجتمعاتنا لاحتضان الإرهاب، ومدى قابلية حواضر كالموصل وطرابلس والتي احتضنت أرقى المدنيات تاريخياً لتكون حاضنةً أو مصدرةً له، والإرهاب المقصود هنا هو العنف من أجل العنف، لا العنف السياسي الموجه نحو هدف واضح ومقبول على مستوى مجتمعي كبير لا يدخل في باب الإرهاب، وذلك مثل حركات التحرير الشعبية ونحوها، فهو في هذه الحالة وسيلة سياسية ضمن وسائل عديدة، وليس كل الوسيلة.

والجواب يأتي بديهياً فالمجتمعات التي غابت عنها ثقافة المواطنة وانتشر فيها الجهل والإقصاء أفرزت جيلاً أعزلاً يعيش الظلم وانسداد الأفق، ولسنا هنا في معرض تبرير الإرهاب بأي صورة من الصور لكن الطريقة التي اعتمدتها الأنظمة العربية في حكم البلاد كانت كفيلة بدفع الشباب إلى أقصى الخيارات.

اليوم وحين تتنادى دول العالم في إعلان حرب عالمية ضد الإرهاب، تحت شعار المصلحة القومية الأمريكية، ويتم التغاضي عن جرائم ترتكبها الأنظمة بحق شعوبها مقابل تصديها للإرهاب، يتناسى الجميع أن العلة الأصلية كانت في غياب المواطنة والثقافة المدنية التي تشكل الحل الناجع للقضاء على الإرهاب.

والمواطنة التي ننشدها، تعني شيوع المساواة وتكافؤ الفرص، بين أفراد، ينتمون إلى جغرافيا مشتركة، وتاريخ مشترك، وذاكرة مشتركة وتنتظم العلاقة فيما بينهم، من خلال دستور مدني، يحدد حقوق وواجبات كل الأفراد المنتمين إليه، وتصبح الدستور هو عنوان الهوية الجامعة، يؤكدها انتماء إلى أرض ذات سيادة، وعقد اجتماعي، ينظم علاقة الندية والتكافؤ بين المنتمين لهذه الأرض، حيث يتمتعون بذات الحقوق، ولا يعود للانتماء الديني أو المذهبي أو القبلي، أو الاثني، قيمة تضفي تميزا في الحقوق على الآخرين. والمواطنة بهذا المفهوم، تعطي للاختلاف والتنوع في المجتمعات العربية، شكلا إيجابياً، يضيف قوة لها ولا يأخذ منها.

والإرهاب لا يتعايش مع الحرية أحد أركان المواطنة، لأنه يستمد قوته من التجهيل، وتعطيل الوعي، وتغييب العقل وفرض الطاعة، وتغليب عقيدة الفرقة الناجية، وإبلاغ الأوامر من الأعلى إلى الأسفل، من غير مناقشة. فمن غير توفر هذه البيئة يستحيل على قادة الإرهاب، الزج بالشباب اليافعين في محرقة الإرهاب.

كما أن الإرهاب لا يتعايش مع العدالة والمساواة التي تفقده ركناً من أركانه ألا وهو انتفاء الوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية، فقد يكون هناك هدف أو غاية مشروعة، لكن العنف ليس الوسيلة الوحيدة للوصول إليها بل إن دولة العدالة والمساواة تؤطر المطالب وتدخلها في سياقاتٍ قانونية، تبعد فيها المطالبين عن انتهاج الإرهاب أو الفكر الإرهابي.

فالإرهاب في جذره حين يكون سياسياً يدفع جماعةً ما إلى ممارسة العنف بوصفه هدفاً بذاته، وفق تصور ذاتي بأن مثل هذا العنف قد يخلق قاعدةً مجتمعية، ويلفت الانتباه إلى وجودها ومن ثم الاعتراف بها وما قد يجره ذلك الاعتراف من تفاوض ونحوه يجعل الجميع على قدم المساواة، وبذلك يكون العنف أو الإرهاب نوعاً من التكتيك السياسي المؤدي لتحقيق غاياتٍ معينة، وهو في كل الأحوال بعيد عن مطالب الناس والمجتمع، فهو لعبةٌ سياسية بمنتهى الخطورة تقامر بكل شيء من أجل الحصول على كل شيء، وقد ينتهي الأمر فعلاً بالحصول على لا شيء، لأن كل شيء يكون قد انتهى إلى الدمار.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

1993 / 1 / 10

بزغ النهار ككل يوم عادي.. بارد حتى درجة الصفر عند الساعة السابعة كان الزمهرير يعصف والتدفئة المركزية مطفأة. أجابونا عن السبب، قالوا: إن يوم الجمع والعطل والأعياد تأخذ التدفئة إجازة. هذه تعليمات الإدارة. اعتذرنا للرقيب عن سؤال زائد. حاولت السير بالممر مؤتزراً بالفروة فوق البيجامة.. واحد أو اثنان يمشيان فقط وواحد يجري ويقوم ببعض التمارين. صعدت على كراتين البيض، ومن الشبابيك رأيت المنحدرات والسهوب والثلج يغطي الأبعاد، والرياح الدوارة تزمر، واللون الكاتم للأرض ينكشف ويزيد الغيوم غضباً.

عند الظهيرة قرأت قصة للأخ وديع إبراهيم عنوانها «الضبع» فيها رشاقة وحيوية ومعاناة. يستحضر في القصة عيداً مبتدعاً اسمه: «عيد التبديل» وأطفالاً يتوقعون أن يكونوا قططاً وضباعاً وتنانين وأغوالاً.. إنهم يهربون من واقعهم.

جمال العيد أنه يسمح لهم بهذا الهرب المرح. أعجبني بها مسيرة الازدواج بين الواقع والتوق، بين الحقيقة والقناع.

مشيت مع وديع الذي هو اسم على مسمى. تكلمنا عن السجن وعن القصة وعن لوحات الطفولة التي تصبح عند السجين لوحات مزوّقة ومؤطرة بالبوالين. لقد تأثرت على وفاة والده الحلاق والمسن بسبب نوبة قلبية حادة عندما سمع بالإفراج عن عدد من البعثيين، ولم يكن اسم ابنه وديع بينهم، فمات فوراً، وحتى الآن لم نجرؤ على إخباره.

عدنا إلى القراءة ولعب الورق والزيارات المتبادلة، وتبادل الروايات لكننا بانتظار أمر ما.

عند إغلاق الباب يعود أبو صلاح حبش العلاّج إلى التحدث عن الحفريات في قبور العاديات، ويبدو أنه امتهن ذلك لسنوات عديدة، ولديه خبرة واسعة، تحدث عن ضفاف «البليخ» الملأى بآثار الحضارات. قال: أهم ما نجده دوارق فخار وهذه عليها رسوم حيوانات وأشخاص من عليّة القوم، وبنات المسؤولين والأثرياء الموسرين، وعثرنا على الدنان والجرار الفخارية، والصحون التي تتوسطها صور الملوك.

تكلم طويلاً عن القبور: الفردية والجماعية وما فيها وأنهم عثروا إحدى المرات (هو واثنان من أقربائه) على جدث عميق، احتوى على الدوارق الثلاثة عرفوا أنه قبر أنثى فحفر وراء الدوارق فعثر على ثلاث خواتم ومكحلتين ذهبيتين، وما يشبه المبرومات التي تلبس في الرسغ، وكان القبر على عمق ثلاثة أمتار، وكان ذلك في خربة «موسى» كما تحدث عن مدينة مدفونة اسمها: «هوة الحمام» دخل زحفاً من بابها المسدود ومشى هو ومن معه في ممراتها، ودروبها الرطبة أكثر من أربع ساعات على ضوء البيل. داروا في أسواق، ومروا عبر ساحة وطارت من فوق رؤوسهم الخفافيش، واتفقوا أن يرجعوا حاملين معهم سلماً ولوكساً، ولكنهم لم يعودوا.

استمرت حكايات العاديات إلى آخر الليل، وما باعوا من الألقيات. أعيد قراءة أبحاث عن الحداثة في مجلة (الناقد) عدد شباط 1989 وأرصد بعض القصص المغربية المنشورة في العدد نفسه.

1993 / 1 / 11

منذ الصباح جاء رقيب اسمه (زياد) ومعه عنصر من عناصر البلديات، وأخذ يحصي البطانيات والعوازل وقارن إحصاءه مع إحصاء شاويش الجناح.. هذا الرقيب صار ودياً يتغاضى عن أنيلات (الكلوبات) وأنتيلات الراديوهات.

جاءت زيارة لعبد القادر استانبولي، وقد أكد الزوار أن الإفراج بات قريباً وهو سيقع لا محالة خلال أسبوع.. أخلي سبيل اثنين من اللبنانيين في الجناح الخلفي أحدهما كنيته (حسنية).

تحدثنا حول أخبار الذين أفرج عنهم. عن بيت الشعر الذي رفع في قرية تل التوت احتفاء بكريم وشقيقه صائب الحاج، وعن الإفراج عند آل الحموي في السلمية، وآل الديبات، وآل زعير، وأن أكرم سوف يتزوج في العطلة الصيفية من خطيبته التي انتظرته طوال إقامته في السجن وتحدثنا عن حلب وآل الزغبي وإلى اللاذقية حول علي ديب وجابر وثائر أولاد أخيه، وتناولنا هيثم سليمان من قرية ماخوس ثم عدنا إلى حوران وقرية / قرفة / والأخوين نابلسي. اسماعيل خرج بعلة دائمة بالقلب، وهو دون عمل أما شقيقه إبراهيم فخرج إلى زوجة فقدت عقلها، أما والدتهما العجوز فقد عميت ووالدهما صار مقعداً، ولا من أرض يملكون. منذ قليل فتح باب الجناح من قبل رقيب فاتورة الخضروات. لقد سجل مهجعنا على سبانخ وسلق وقرنبيط.

1993 / 1 / 12

قال طبيب الأسنان علي الصارم الذي قدم زائراً من الطابق الثاني أن الإفراج قريب، وليس من معوقات أثناء الخروج سوى الأمن السياسي الذي يطلب من المفرج عنه أن يوقع على بيان أن لا يعمل في السياسة وأن لا يتعنت في المعارضة، والرافض يحتفظون به لأيام مع: «فلقة» أو«دولاب» وقال: هذا ما حدث مع ناجيه جرعتلي من البعث الديمقراطي التي اعتقلت على طريق درعا عام 1987، أما الأمن العسكري أو أمن الدولة فلا يوقعون.

وفي زيارة الدكتور حسين بكر قال: نقل الأهل أن المدعو شفيق فياض وهو قائد فيلق ومن أركان الحكم، إذ كان في القطيفة لسببٍ ما، وأمام جمع من الناس وجهت إليه امرأة كلاماً مفاده: أن ابني لم يخرج من السجن رغم الإفراجات فأجابها: من الآن وحتى آذار لن يبقى أحد.

منذ أيام سألت يحيى عزيز عن مهندس اعتقل عام 1978 بتهمة الانتماء إلى البعث الديمقراطي اسمه: هيثم حسن من النبك. قال لي يومها: إنني اعتقلت معه، وهربت ثم تخفيت أما هو فقد بقي، وقد سيِّر إلى تدمر عام 1980 مع دفعة ممن يسميهم النظام بالدينيين وفي مجزرة تدمر تمت تصفيته. وقال: أن حقد الضابط في التحقيق هيثم الشمعة انصب عليه والذي أطلق الدينيون النار عليه فيما بعد فأردوه قتيلاً.

وقد جئنا على ذكره لأن مسؤول عن سجناء بحكم المفقودين. وكان الجميع يجهلون أين هم؟ وهل هم بحكم الأموات أم الأحياء؟ مثل: فخر زيدان والأخوين، عبيدو وأبو علي زيدان وآصف دعبول، وقد ظهروا وأفرج عنهم.

وصلتنا أنباء عن الذين أفرج عنهم، وكيف كانت استقبالاتهم. فقد استقبل سجناء حماه استقبالاً لا مثيل له، فمئات السيارات وصلت إلى الرستن، وترجع بموكب إلى المدينة، موكب تحفه الأهازيج والزغاريد وتمتلئ الدور والحارات بالمهللين والمكبرين. كما كانت القرى المحيطة كذلك فبلدة الشيحة استقبلت أكرم حرامي برمتها، وحلفايا استقبلت الضابط أبا صلاح، وطيبة الإمام قامت ولم تقعد وهي تستقبل شباب آل الخطاب، والسلمية وقراها أقامت بيوت الشعر والأفراح والليالي الملاح لسجنائها. إننا نفرح لهذه الأخبار، وسمعنا أن تبنه في حوران احتفت بسامي صعوب، وأن هيئة تخطيط الدولة فرحت بالإفراج عن الدكتورين سامي وأكرم، وعادا إلى عملهما وأعفيا من تكملة الخدمة الإلزامية. سمعنا أن الباب انفتح بين جناحي حزب العمل وكان مقفلاً، وخلال اليومين القادمين سيتم فتح الباب بين جناحنا والجناح الخلفي. الحوارات في الجناح تدور حول انتخابات الجزائر، والبعض يفضل أنظمة الديكتاتوريات على جبهة الإنقاذ.

إن المرء لينعم ويهنأ حين يدير ظهره لما أمامه من عراك وصراع، ويلتفت لما خلفه من حميم ووداد
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر
للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com

جريدة سوريتنا

وبرعاية كريمة من شبكة الإعلام المطبوع SNP، وجمعية سمارت لدعم الإعلام المستقل SMART

تدعوكم لحضور افتتاح معرض التصوير الضوئي

"حكايا المسافر"

في الذكرى الثالثة لتأسيس الجريدة

في مركز كيركاياك الثقافي - مدينة غازي عنتاب - تركيا

Akyol Mah. Atatürk Bul. Şaban Sok. No:361/ Şahinbey/ G. Antep

يوم الخميس 9 تشرين الأول 2014 الساعة الخامسة مساءً

يعود ريع المعرض لـ:

- دعم شبكة حرّاس لحماية ورعاية أطفال سوريا
- المساهمة بتأسيس مكتبة لأطفال مدرسة الحياة في القابون

حضوركم دعمٌ لنا ولأطفال سوريا

بدعم من:

الشبكة السورية للإعلام المطبوع

جمعية سمارت لدعم الإعلام المستقل

راديو سوريالي - مركز كيركاياك الثقافي

سوريتنا

SNP Syrian Network Of Print-media الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SMART Syrian Media Action Revolution Team

راديو سوريالي

KSM IRKAYAK SANAT MERKEZİ

حرّاس